مجدي محمد الشهاوي

سكرات الموت

وعظة الموت وشدائده

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٧٦٠/١٩٩٣

الترقيم الدولى ٧ - ١٥ - ٥١٩١ - ٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ــ ١١٢٣١



مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، فإنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، **وبعـد** :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[1] **﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾**[2]... **﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم * ومَن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾**[3].

قال تبارك وتعالى فى كتابه الحكيم : **﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾**[4]، وقال ﷺ فى مرضه الذى مات فيه : « **إن للموت لسكرات** »[5]... ومع هذه السكرات والشدائد التى تصيب كل منا عند موته نلتقى – إن شاء الله تبارك

---

(١) آل عمران : ١٠٢ . (٢) النساء : ١ .

(٣) الأحزاب : ٧٠ – ٧١ .

(٤) ق : ١٩ .

(٥) حديث صحيح ، وسيلى تخريجه إن شاء الله فى موضعه من الكتاب .

وتعالى – فى هذا العمل الجديد ، كتذكرة للغافل ، وموعظة للعاقل ، سائلين الله تبارك وتعالى أن يُعَلِّمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علَّمنا ، إنه سميع مجيب .

مجدى محمد الشهاوى
شرباص – فارسكور – دمياط
بريد (٣٤٧٢١)

هاتف :
(محلى ٦٧٨٩)   (٠٥٧)

سكـرات المـوت وشـدته

أَكْثِرُوا ذِكْرَ هاذم[6] اللذات

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أكثروا ذكر هاذم اللذات** » - يعنى الموت -[7].

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : أتيتُ النبى ﷺ عاشر عشرة ، فقال رجل من الأنصار : مَنْ أَكْيَسُ الناس[8] وأَكْرَمُ الناس يارسول الله ؟، فقال ﷺ : « **أكثرهم ذِكْراً للموت ، وأشَدُّهم استعداداً له ، أولئك هم الأكياس ، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة** »[9].

وقوله ﷺ : « **أكثروا ذكر هاذم اللذات** » كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ فى الموعظة ، فإن مَن ذَكَر الموت حَقِيقَة ذِكْرِه نَغَّص عليه لَذَّته الحاضرة ، ومنعه من تمنيها فى المستقبل وزَهَّدَهُ فيما كان منها يؤمل ، ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ ، وتزويق الألفاظ ، وإلَّا ففى قوله عليه الصلاة والسلام : « **أكثروا ذكر هاذم اللذات** » مع قوله تعالى : ﴿ **كل نفسٍ ذائقة الموت** ﴾[10] **ما يكفى السامع له ، ويشغل الناظر فيه .**

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودى المال والولد

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجرى الرياح له ... والإنس والجن فيما بينهما ترد

---

(٦) هاذم : قاطع وكاسر وغالب .

(٧) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٢/٢٩٣) ، والترمذى (٢٣٠٧) وقال : هذا حديث حسن غريب ، وابن ماجه (٤٢٥٨) ، والنسائى (٤/٤) ، وابن حبان (٢٩٨٤) ، والحاكم (٤/٣٢١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(٨) أى أعقل الناس .

(٩) أخرجه ابن ماجه مختصراً فى سننه برقم (٤٢٥٩) ، وفى تخريج الإحياء (٤/٤٣٥) عزاه العراق لابن أبى الدنيا وقال : إسناده جيد .

(١٠) آل عمران : ١٨٥ ، العنكبوت : ٥٧ .

أين الملوك التى كانت لعزتها   من كل أوب إليها وافد يَفِدُ ؟
حوض هنالك مورود بلا كذب   لابُدّ من ورده يومًا كما وردوا

إذا ثبت ما ذكرناه فاعلم أن ذِكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية ، والتوجه فى كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية ، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتى ضيق وسعة ، ونعمة ومحنة ، فإن كان فى حال ضيق ومحنة فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه ، فإنه لا يدوم ، والموت أصعب منه ، أو فى حال نعمة وسعة ، فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها والسكون إليها ، ولقد أحسن مَن قال :

اذكر الموت هاذم اللـذات   وتَجَهَّز لمصرع سوف يـأتى

وقال غيره :

واذكـر الموت تجد راحـة   فى إذكار الموت تقصير الأمل

وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم ، ولا زمن معلوم ، ولا مرض معلوم ، وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك ، مستعداً لذلك ، وكان بعض الصالحين ينادى بليل على سور المدينة : الرحيل .. الرحيل ...، فلما توفى فَقَدَ صوته أمير المدينة فسأل عنه ، فقيل : إنه قد مات فقال :

مازال يلهج بالرحيل وذكـره   حتى أنـاخ ببابـه الجَمّـالُ
فأصابـه متيقظـاً مُتَشَمِّـرَاً   ذا أُهبـةٍ لم تُلهِـهِ الآمـالُ

قال الدقاق : مَن أَكْثَرَ ذكر الموت أُكْرِم بثلاثة أشياء :

تعجيل التوبة ...، وقناعة القلب ...، ونشاط العبادة .

ومَن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء :

تسويف التوبة ...، وترك الرضى بالكفاف ...، والتكاسل فى العبادة .

فتفكر يا مغرور فى الموت وسكرته ، وصعوبة كأسه ومرارته ، فياللموت من وعد ما أصدقه ، ومن حاكم ما أعدله ، كفى بالموت مقرحاً للقلوب ، ومبكياً للعيون ، ومُفَرِّقاً للجماعات ، وهادماً للذات ، وقاطعاً للأمنيات ، فهل تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك ، وانتقالك من موضعك ، وإذا نُقلت من سعة إلى ضيق ، وخانك الصاحب والرفيق ، وهجرك الأخ والصديق ، وأخذت من فراشك وغطائك إلى عرر[11]، وغطوك من بعد لِين لحافك

(١١) العرر : الجرب .

بتراب ومَدَر[١٢]، فيا جامع المال والمجتهد فى البنيان ليس لك - والله - من مال إلا الأكفان ، بل هى والله للخراب والذهاب ، وجسمك للتراب والمآب ، فأين الذى جمعته من المال ؟، فهل أنقذك من الأهوال ؟ كلا ؛ بل تركته إلى مَن لا يحمدك ، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك . ولقد أحسن مَن قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة** ﴾[١٣] أى : اطْلُب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة وهى الجنة ، فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه فى الآخرة ، لا فى الطين والماء والتجبر والبغى ، فكأنهم قالوا : لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك وهو الكفن . ونحو هذا قول الشاعر :

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداءان تُلْوَى فيهما وحنوط

وقال آخر :

هى القناعة لا تبغى بها بدلا ... فيها النعيم وفيها راحة البدن

انظر لِمَن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن ؟

............[١٤]

ومن كلام الغزالى رحمه الله[١٥]: اعلم أن الموت هائل ، وخطره عظيم ، ومَن لم يذكره ليس يذكره بقلب فارغ ، بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا ، فليرجع ذكر الموت فى قلبه ، فالطريف فيه أن يُفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذى هو بين يديه ، كالذى يريد أن يسافر إلى مفازة[١٦] مخطرة أو يركب البحر ، فإنه لا يتفكر إلا فيه . فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه ، وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه ، وأنجع[١٧] طريق فيه أن يُكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله ، فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ، ويتذكر صورهم فى مناصبهم وأحوالهم ، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم . وكيف تبددت أجزاؤهم فى

---

(١٢) المدر : الطين .   (١٣) القصص : ٧٧ .

(١٤) تذكرة القرطبى (٩ - ١١) .

(١٥) إحياء علوم الدين (٤٣٦/٤) فما بعدها .

(١٦) صحراء مُهْلِكَة .

(١٧) أفضل وأحسن وأنجح .

قبورهم ، وكيف أرملوا نساءهم ، وأيتموا أولادهم ، وضيعوا أموالهم ، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم ، وانقطعت آثارهم فمهما تَذَكَّر رجلٌ رجلاً ، وفَصَّل فى قلبه حاله وكيفية موته ، وتَوَهَّم صورته ، وتَذَكَّر نشاطه وتردده وتَأَمُّله للعيش والبقاء ، ونسيانه للموت ، وانخداعه بمواتاة الأسباب ، وركونه إلى القوة والشباب ، وميله إلى الضحك واللهو ، وغفلته عَمّا بين يديه من الموت الذريع ، والهلاك السريع ، وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه ، وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه ، وكيف كان يدبر لنفسه مالاً يحتاج إليه إلى عشر سنين فى وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر ، وهو غافل عما يُراد به ، حَتى جاء الموت فى وقت لم يحتسبه ، فانكشف له صورة المَلَك ، وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار . فعند ذلك ينظر فى نفسه أنه مثلهم ، وغفلته كغفلتهم ، وستكون عاقبته كعاقبتهم .

من أحوال وأقوال الصالحين فى ذِكْر الموت

كان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء ، فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ، ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

وقال إبراهيم التيمى : شيئان قطعا عنى لذة الدنيا : ذكر الموت ، والوقوف بين يدى الله عز وجل .

وقال كعب : من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها .

وقالت صفية رضى الله عنها : إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضى الله عنها قساوة قلبها فقالت : أكثرى ذكر الموت يرق قلبك .

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء : عِظْنى ، فقال : لستَ أول خليفة تموت .. قال : زدنى ، قال : ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت ، وقد جاءت نوبتك . فبكى عمر لذلك .

وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبراً فى داره ، فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت . وكان يقول : لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد .

نظر عمرو بن العاص إلى المقبرة فنزل وصلّى ركعتين ، فقيل له : هذا

شيء لم تكن تصنعه ؟، فقال : ذكرتُ أهل القبور وما حِيل بينهم وبينه ، فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما .

وقال أبو ذر : ألا أخبركم بيوم فقرى ؟ يوم أوضع فى قبرى .

وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور ، فقيل له فى ذلك ؛ فقال : أجلس إلى قوم يذكِّرونى معادى وإذا قمت لم يغتابونى .

وكان جعفر بن محمد يأتى القبور ليلاً ويقول : يا أهل القبور مالى إذا دعوتكم لا تجيبونى ؟!..، ثم يقول : حِيل واللهِ بينهم وبين جوابى ، وكأنى بى أكون مثلهم ، ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر .

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : يا فلان لقد أُرِقْت الليلة أتَفَكّر فى القبر وساكنه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة أيام فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأُنس منك به ، ولرأيت بيتًا تجول فيه الهوام ، ويجرى فيه الصديد ، وتخترقه الديدان مع تَغَيُّر الريح ، وبِلَى الأكفان بعد حُسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ،... قال : ثم شهق شهقة خَرّ مغشياً عليه .

وكان يزيد الرقاشى يقول : أيها المقبور فى حفرته ، والمتخلى فى القبر بوحدته ، المستأنس فى بطن الأرض بأعماله ، ليت شعرى بأى أعمالك استبشرت ، وبأى إخوانك اغتبطت ، ثم يبكى حتى يبل عمامته ، ثم يقول : استبشَرَ واللهِ بأعماله الصالحة ، واغتبط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى ..

وقال حاتم الأصم : مَن مَرّ بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يَدْعُ لهم فقد خان نفسه وخانهم .

وكان بكر العابد يقول : يا أماه ليتكِ كنتِ بى عقيماً ، إن لابنك فى القبر حبساً طويلاً ، ومن بعد ذلك منه رحيلا .

وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول : ما أحسن ظواهرك ، إنما الدواهى فى بواطنك .

وكان عطاء السلمى إذا جَنّ عليه الليل خرج إلى المقبرة ثم يقول : يا أهل القبور متّم فواموتاه ، وعاينتم أعمالكم فواعملاه . ثم يقول : غداً عطاء فى القبور ، غداً عطاء فى القبور .. فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح .

وكان الربيع بن خثيم قد حفر فى داره قبراً ، فكان إذا وجد فى قلبه قساوة

دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول : ﴿ **رَبِّ ارجعون ۞ لَعَلِّى أعمل صالحًا فيما تركتُ** ﴾[18] يرددها ، ثم يُرد على نفسه : يا ربيع قد رجعتَ فاعمل !

وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور بكى ، ثم أقبل علىّ فقال : يا ميمون ، هذه قبور آبائى بنى أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لَذَّاتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد خلت بهم المَثُلاَت[19] واستحكم فيهم الْبِلَى ، وأصابت الهوام مقيلاً[20] فى أبدانهم ؟.. ثم بكى وقال : والله ما أعلم أحداً نُعِّم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله .

وقال ثابت البنانى : دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائل يقول : يا ثابت لا يَغُرَّنك صموت أهلها ، فكم من نفس مغمومة فيها .

وروى عن مطرف بن أبى بكر الهذلى قال : كانت عجوز فى عبد القيس متعبدة ، فكان إذا جاء الليل تَحَزَّمت ثم قامت إلى المحراب ، وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور ، فبلغنى أنها عوتبت فى كثرة إتيانها المقابر فقالت : إن القلب القاسى إذا جفا لم يُلَيِّنه إلا رسوم البِلَى ، وإنى لآتى القبور فكأنى أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها ، وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة ، وإلى تلك الأجسام المتغيرة ، فيالها من نظرة لو أشربها العبادُ قلوبَهم !!، ما أنكل مرارتها للأنفس ، وأشد تلفها للأبدان .

ودخل فقيه على عمر بن عبد العزيز فَتَعَجَّبَ من تَغَيُّر صورته لكثرة الجهد والعبادة ، فقال له : يا فلان ! لو رأيتنى بعد ثلاث وقد أُدْخِلت قبرى ، وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين ، وتقلصت الشفتان عن الأسنان ، وخرج الصديد من الفم ، وانفتح الفم ، ونتأ البطن فَعَلاَ الصدر ، وخرج الصُّلب من الدُّبُر ، وخرج الدود والصديد من المناخر ؛ لرأيتَ أعجب مما تراه الآن !!

---

(18) المؤمنون : 99 – 100 .

(19) المَثُلاَت : العقوبات ..، وفى التنزيل : ﴿ وقد خلت من قبلهم المَثُلاَت ﴾ (الرعد : 6) .

(20) من القيلولة ، أى سكنت الهوام والحشرات واستراحت فى أجسادهم بعد موتهم .

خطبة مُوَدِّع

وخطب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وأرضاه فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ! إنكم لم تُخلقوا عبثاً ولن تُتْرَكوا سدى ، وإن لكم معاداً يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم ، فخاب وشقى غداً عبد أخرجه الله من رحمته التى وسعت كل شىء ، وجنته التى عرضها السماوات والأرض ، وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف واتقى ، وباع قليلاً بكثير ، وفانيًا بباق ، وشقوة بسعادة ، ألا ترون أنكم فى الهالكين ، وسيخلف بعدكم الباقون ؟ ألا ترون أنكم فى كل يوم تُشيعون غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبه ، وانقطع أمله ؟، فتضعونه فى بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجَه الحساب ؟ وايمُ الله إنى لأقول مقالتى هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسى ، ولكنها سنن من الله عادلة ، آمُر فيها بطاعته ، وأنهى فيها عن معصيته ، وأستغفر الله .

ووضع – رحمة الله عليه – كفه على وجهه وجعل يبكى حتى بَلّت دموعه لحيته ، وما عاد إلى مجلسه حتى مات !.

مَن أَحَبَّ لقاء الله أحَبَّ الله لقاءَه

فى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **مَن أحب لقاء الله ؛ أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ؛ كره الله لقاه** » فقالت عائشة – أو بعض أزواجه ﷺ – : يا نبى الله إنا لنكره الموت !!، قال : « **ليس ذلك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته فليس شىء أحب إليه مما أمامه ؛ فَأَحَبَّ لقاء الله وأَحَبَّ الله لقاءه ،**

وإن الكافر إذا حضره الموت بُشِّر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه »[21].

موقف الناس من الموت[22]

إعلم أن المنهمك في الدنيا المُكِبَّ على غرورها ، المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره ، وإذا ذُكِّر به كرهه ونفر منه ، أولئك الذين قال الله فيهم : ﴿ **قُل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تُرَدُّون إلى عالمِ الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾[23].

ثم الناس إما : منهمك ..، وإما تائب مبتدىء ..، أو عارف مُنْتَه :

أما **المنهمك** : فلا يذكر الموت ، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ، ويشتغل بِمَذَمَّته ، وهذا يزيده ذِكْر الموت من الله بُعْداً .

وأما **التائب** : فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف والخشية ، فيفي بتمام التوبة ، وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة ، وقبل إصلاح الزاد ، وهو معذور في كراهة الموت ، ولا يدخل هذا تحت قوله ﷺ : « **مَن كره لقاء الله كره الله لقاءه** »[24]، وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره ، وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه . فلا يُعَدُّ كارهًا للقائه وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له ، لا شُغل له سواه ، وإلا الْتَحَقَ بالمنهمك في الدنيا .

وأما **العارف** : فإنه يذكر الموت دائمًا لأنه موعد للقائه لحبيبه ، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب ، وهذا في غالب الأمر يستبطىء مجيء الموت ،

---

(٢١) أخرجه البخارى فى الرقاق باب مَن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه برقم (٦٥٠٧) ، ومسلم فى الذكر برقم (١٥) ، والترمذى (١٠٦٧) ، والنسائى (٤/١٠) ، وابن ماجه (٤٢٦٤) ، وأبو داود فى البعث (٢) ، وأحمد (٢/٣١٣) ، وابن حبان (٢٩٩٨) ، والطيالسى (٥٧٤) ، والدارمى (٢٧٥٦) ، عبد الرزاق فى مصنفه (٦٧٤٩) ، وكيع فى الزهد (٨٩) ، والخطيب فى تاريخه (٦/٢٧٢) .

(٢٢) إحياء علوم الدين (٤/٤٣٤) .

(٢٣) الجمعة : ٨ .

(٢٤) تقدم تخريجه .

ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين ، وينتقل إلى جوار رب العالمين ،... كما روى عن حذيفة رضى الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال : حبيب جاء على فاقة(٢٥)، لا أفلح مَن ندم ، اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلىّ من الغنى ، والسقم أحب إلىّ من الصحة ، والموت أحب إلىّ من العيش ؛ فَسَهِّل علىّ الموت حتى ألقاك .

إن للموت لسكرات

قال تعالى فى محكم كتابه : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾(٢٦).

وقال : ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أَخرِجُوا أنفسكم اليوم تُجْزَون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾(٢٧) وقوله : ﴿ **فى غمرات الموت** ﴾ أى فى سكراته وغمراته وكرباته ، وقوله : ﴿ **والملائكة باسطوا أيديهم** ﴾ أى بالضرب والعذاب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ، وذلك أن الكافر إذا احتُضر بَشَّرته الملائكة بالعذاب ، والنكال ، والأغلال ، والسلاسل ، والجحيم والحميم ، وغضب الرحمن الرحيم ، فتتفرق روحه فى جسده ، وتعصى وتأبى الخروج ؛ فتضربهم الملائكة ، حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم : ﴿ **أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق** ﴾ .

وصح من حديث عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيه كان بين يديه ركوة(٢٨) أو علبة فيها ماء فجعل يُدْخِل يده فى الماء فيمسح بها وجهه ويقول : لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات(٢٩).

---

(٢٥) فقر وشدة حاجة

(٢٦) ق : ١٩ .

(٢٧) الأنعام : ٩٣ .

(٢٨) إناء صغير من الجلد يُشرب فيه الماء .

(٢٩) رواه البخارى فى الرقاق باب سكرات الموت برقم (٦٥١٠) .

حديث البراء بن عازب فى قبض روح المؤمن والكافر

عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ مُسْتَقْبِل القبلة ، وجلسنا حوله وكأن على رءوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت فى الأرض ، فجعل ينظر إلى السماء وينظر إلى الأرض ، وجعل يرفع بصره ويخفضه – ثلاثاً –، فقال : « **استعيذوا بالله من عذاب القبر** » – مرتين أو ثلاثاً – ثم قال : « **اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر** » – ثلاثاً – ثم قال : « **إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحَنُوط**[٣٠] **من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة** (وفى رواية : المطمئنة) **أخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِىّ السِّقَاء ، فيأخذها ،** (وفى رواية : **حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، وفتحت له أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قِبَلِهِم**) ، **فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ، فذلك قوله تعالى : ﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾**[٣١] **ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدَت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يَمُرُّون – يعنى : بها على ملأ من الملائكة – إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان – بأحسن أسمائه التى كانوا يُسَمُّونه بها فى الدنيا –، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فَيَسْتَفْتِحُون له ، فَيُفْتَح لهم ، فيُشَيِّعه من كل سماء مُقَرَّبُوهَا إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهى به إلى السماء**

---

(٣٠) الحَنُوط : ما يُخلط من الطِّيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة .
(٣١) الأنعام : ٦١ .

السابعة ، فيقول الله عَزَّ وجَلّ : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين ، ﴿ وما أدراك ما عليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون ﴾[٣٢]، فيُكتب كتابه فى عليين ، ثم يقال : أعيدوه إلى الأرض ، فإنى وعدتهم أنّى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أُخرجهم تارة أخرى ، قال : فَيُرَدّ إلى الأرض وتُعَاد روحه فى جسده ، قال : فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا وَلّوْا عنه مدبرين ، فيأتيه مَلَكَان شديدا الانتهار ؛ فينتهرانه ، وَيُجْلِسَانه فيقولان له : مَن ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟، فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له : وما علمك بهذا ؟، فيقول : قرأت كتاب الله ؛ فآمنت به وصَدَّقت ، فينتهره فيقول : مَن ربك ؟ ما دينك ؟ مَن نَبِيُّك ؟،– وهى آخر فتنة تُعْرَض على المؤمن –، فذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا ﴾[٣٣] فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبيى محمد ﷺ ، فينادى مُنَادٍ فى السماء : أَنْ صَدَق عبدى ، فافرشوه من الجنة ، وأَلْبِسُوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، ويُفْسَح له فى قبره مد بصره ، قال : ويأتيه (وفى رواية : يمثل له) رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طَيِّب الريح ، فيقول : أَبْشِر بالذى يَسُرّك ، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم ، هذا يومك الذى كنت تُوعَد ، فيقول له : وأنت فَبَشَّرَك الله بخير مَن أنت ؟ فوجهك الوجه يجىء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً فى إطاعة الله ، بطيئاً فى معصية الله ، فجزاك الله خيراً ، ثم يُفتح له باب من الجنة ، وباب من النار ، فيُقَال : هذا منزلك لو عصيت الله أَبْدَلَك الله به هذا ، فإذا رأى ما فى الجنة قال : رَبِّ عَجِّل قيام الساعة ، كيما أرجع إلى أهلى ومالى ، فيقال له : اُسْكُن .

قال : وإن العبد الكافر (وفى رواية : الفاجر) إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد سود الوجوه ، معهم المسوح[٣٤] من النار ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم

(٣٢) المطففين : ١٩ – ٢١ .

(٣٣) إبراهيم : ٢٧ .

(٣٤) المسوح : جمع المِسْح ، وهو كساء غليظ من الصوف أو الشعر .

يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرُجى إلى سخط من الله وغضب ، قال فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول ، فتقطع معها العروق والعصب ، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، وتغلق أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألّا تعرج روحه من قِبَلِهم ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يَدَعُوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منها كأنْتَن ريح جيفة وُجِدَت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟، فيقولون : فلان ابن فلان – بأقبح أسمائه التى كان يُسَمَّى بها فى الدنيا – حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له ، فلا يُفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط[٣٥] ﴾[٣٦]، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى ، ثم يقال : أعيدوا عبدى إلى الأرض فإنى وعدتهم أنّى منها خلقتهم ، وفيها أُعيدهم ، ومنها أُخرجهم تارة أخرى ، فَتُطْرَح روحه من السماء طرحاً حتى تقع فى جسده ، ثم قرأ : ﴿ ومَن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾[٣٧]، فتُعاد روحه فى جسده ، قال : فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا وَلَّوْا عنه ، ويأتيه مَلَكَان شديدا الانتهار فينتهرانه ويُجلسانه ، فيقولان له : مَن ربك ؟ فيقول : هاه هاه[٣٨] لا أدرى !، فيقولان له : ما دينك ؟، فيقول : هاه هاه لا أدرى ، فيقولان : فما تقول فى هذا الرجل الذى بُعِثَ فيكم ؟ فلا يهتدى لاسمه ، فيقال : محمد ! فيقول : هاه هاه لا أدرى ، سمعتُ الناس يقولون ذاك ! قال : فيقال : لا دريت ولا تلوت ، فينادى منادٍ من السماء أن كذب ، فافرشوا له من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ؛ فيأتيه من حَرِّها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه (وفى رواية :

(٣٥) أى ثُقب الإبرة .

(٣٦) الأعراف : ٤٠ .

(٣٧) الحج : ٣١ .

(٣٨) هى كلمة تقال فى الضحك وفى الإيعاد ، وقد تقال للتَوَجُّع ، وهو أليق بمعنى الحديث ، والله أعلم .

ويمثل له) رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسوؤك ، هذا يومك الذى كنت تُوعَد ، فيقول : وأنت فبشرك الله بالشر مَن أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر ! فيقول : أنا عملك الخبيث ، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله ، سريعاً إلى معصية الله ، فجزاك الله شراً ، ثم يُقَيَّض له أعمى أصم أبكم فى يده مرزبة لو ضُرب بها جبل كان تراباً ، فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً ، ثم يعيده الله كما كان ، فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين ، ثم يُفتح له باب من النار ، ويمهد له فراش من النار »[٣٩].

علامات حُسن الخاتمة[٤٠]

فى حديث رسول الله ﷺ علامات بينات يُستَدَل بها على حُسن الخاتمة ، فأيما امرىء مات بإحداها كانت بشارة له ويالها من بشارة ، نسأل الله حُسن الخاتمة .

□ الأولى : نطقه بالشهادة عند الموت :

لقوله ﷺ : « من كان آخِر كلامه : لا إله إلا الله ؛ دخل الجنة »[٤١].

---

(٣٩) هكذا جمع الألبانى طرق الحديث وزياداته ووضعها فى نسق واحد فى كتابه « أحكام الجنائز » (١٥٦ - ١٥٩) وفى مختصر أحكام الجنائز له (٦٥ - ٦٩) ، وذكر مخرجيه ومخرج كل زيادة على حدة وحكم عليه بالصحة ، والحديث فى مسند الإمام أحمد (٢٨٧/٤ - ٢٨٨ ، ٢٩٥ - ٢٩٦) ، وأبو داود (٤٧٥٣) ، والحاكم (٣٧/١ - ٤٠) وصححه على شرط الشيخين .. وأقره الحافظ الذهبى ..، وأخرجه الطيالسى (٧٥٣) ، والآجرى فى الشريعة (٣٦٧ - ٣٧٠) ، ورواه ابن ماجه (١٥٤٨ - ١٥٤٩) والنسائى (١٠١/٤ - ١٠٢) مختصراً ، وصححه ابن قيم الجوزية فى « إعلام الموقعين » (٢١٤/١) و« تهذيب السنن » (٣٣٧/٤) و« الروح » (٥٥ - ٥٧) ، التذكرة للقرطبى (١٢٩ - ١٣٠) ، تسلية أهل المصائب - بتحقيقى - ص (١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ - ١٧٩) .

(٤٠) بتصرف عن أحكام الجنائز للألبانى (٣٤ - ٤٣) .

(٤١) رواه أبو داود (٣١١٦) ، والحاكم فى المستدرك (٣٥١/١ ، ٥٠٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

☐ الثانية : الموت برشح الجبين :

لحديث بريدة بن الخصيب رضى الله عنه أنه كان بخراسان فعاد أخاً له وهو مريض ، فوجده بالموت ، وإذا هو بعرق جبينه ، فقال : الله أكبر !!، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **موت المؤمن بعرق الجبين** »[٤٢].

☐ الثالثة : الموت ليلة الجمعة أو نهارها :

لقوله ﷺ : « **ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ، إلا وقاه الله فتنة القبر** »[٤٣].

☐ الرابعة : الاستشهاد فى ساحة القتال :

لقوله ﷺ : « **للشهيد عند الله ست خصال : يُغفر له فى أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويُجار من عذاب القبر ، ويأمن الفزع الأكبر ، ويحلى حلية الإيمان ، ويُزَوَّج من الحور العين ، ويشفع فى سبعين إنسانًا من أقاربه** »[٤٤].

وتُرجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصاً من قلبه ولو لم يتيسر له الاستشهاد فى المعركة ؛ لقوله ﷺ : « **مَن سأل الله الشهادة بصدق بَلّغهُ الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه** »[٤٥].

☐ الخامسة : الموت غازياً فى سبيل الله :

لقوله ﷺ : « **من فَصَل – أى خرج – فى سبيل الله فمات أو قُتل**

---

(٤٢) رواه أحمد (٣٥٠/٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠) والحاكم (٣٦١/١) وصححه على شرط مسلم ، والطيالسى (٨٠٨) ، والنسائى (٦/٤) ، والترمذى (٩٨٢) وحسنه ، وابن ماجه (١٤٥٢) .

(٤٣) أخرجه أحمد فى مسنده (١٦٩/٢ ، ١٧٦ ، ٢٢٠) ، والترمذى (١٠٧٤) ، وقال الألبانى فى أحكام الجنائز (ص٣٥) : الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح ، وكذا فى تخريج المشكاة (١٣٦٧) ، وحسنه محقق جامع الأصول (٢٧٢/٩) .

(٤٤) أخرجه أحمد فى المسند (١٣١/٤) ، وابن ماجه (٢٧٩٩) ، والترمذى (١٦٣٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب عن المقدام بن معد يكرب ... وأخرجه أحمد (٢٠٠/٤) عن قيس الجذامى وإسناده صحيح .

(٤٥) أخرجه مسلم فى صحيحه [فى الإمارة برقم (١٥٧)] ، والبيهقى (١٦٩/٩) عن أبى هريرة ، وله شواهد فى مستدرك الحاكم (٧٧/٢) .

فهو شهيد ، أو وقصه فرسه أو بعيره[٤٦]، أو لدغته هامّة ، أو مات على فراشه بأى حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة »[٤٧].

□ السادسة : الموت بالطاعون :

لقوله ﷺ : « **الطاعون شهادة لكل مسلم** »[٤٨]. وفيه أحاديث صحيحة كثيرة عنه ﷺ غير هذا .

□ السابعة : الموت بداء البطن :

وفى حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : « **من مات فى البطن[٤٩] فهو شهيد** »[٥٠].

□ الثامنة والتاسعة : الموت بالغرق والهدم :

لقوله ﷺ : « **الشهداء خمسة : المطعون ، والمبطون ، والغرق ، وصاحب الهدم ، والشهيد فى سبيل الله** »[٥١].

□ العاشرة ، والحادية عشر ، والثانية عشر : موت المرأة فى نفاسها بسبب ولدها ، والموت بالحرق ، وذات الجنب[٥٢] :

لحديث جابر بن عتيك عن النبى ﷺ : « **الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله : المطعون شهيد ، والغَرِق شهيد ، وصاحب ذات الجنب**

---

(٤٦) أى كسرت عنقه .

(٤٧) أخرجه أبو داود (٢٤٩٩) ، والحاكم (٧٨/٢) ، البيهقى (١٦/٩) من حديث أبى مالك الأشعرى .

(٤٨) رواه البخارى فى الطب باب ما يذكر فى الطاعون برقم (٥٧٣٢) ، ومسلم فى الإمارة (١٦٦) والطيالسى (٢١١٣) ، وأحمد فى المسند (١٥٠/٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٥٨ - ٢٦٥) عن أنس ابن مالك .

(٤٩) أى بداء البطن وهو الاستسقاء وانتفاخ البطن ، وقيل : هو الإسهال ، وقيل : الذى يشتكى بطنه .

(٥٠) رواه مسلم فى الإمارة برقم (١٦٥) ، وأحمد (٥٢٢/٢) .

(٥١) رواه البخارى فى الجهاد باب الشهادة سبع سوى القتل برقم (٢٨٢٩) ، ومسلم فى الإمارة برقم (١٦٤) ، والترمذى (١٠٦٣) ، ومالك فى الموطأ كتاب صلاة الجماعة برقم (٦) ، وأحمد (٣٢٥/٢ ، ٥٣٣) .

(٥٢) ورم حار يعرض فى الغشاء المستبطن للأضلاع .

شهيد ، والمبطون شهيد ، والحرق شهيد ، والذى يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع[٥٣] شهيدة »[٥٤].

□ الثالثة عشر : الموت بداء السل :

لحديث راشد بن حبيش عن النبى ﷺ وفيه : « **والسُّل** » – يعنى أنه شهادة –[٥٥].

□ الرابعة عشر والخامسة عشر والسادسة عشر : الموت فى سبيل الدفاع عن المال المراد غَصْبُه أو الدفاع عن الدين والنفس :

لحديث سعيد بن زيد عن النبى ﷺ قال : « **مَن قُتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد ، ومَن قُتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد** »[٥٦].

□ السابعة عشر : الموت مرابطاً فى سبيل الله :

وصَحّ من حديث سلمان عن رسول الله ﷺ قال : « **رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه ، وأَمِنَ الفتان** »[٥٧].

□ الثامنة عشر : الموت على عمل صالح :

لقوله ﷺ : « **مَن قال : لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة ، ومَن صام يومًا ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة ، ومَن تَصَدَّق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة** »[٥٨].

---

(٥٣) تموت وفى بطنها ولد .

(٥٤) رواه مالك فى الموطأ كتاب الجنائز برقم (٣٦) ، وأحمد (٤٤٦/٥) ، وابن ماجه (٢٨٠٣) ، والنسائى (١٤/٤) ، والحاكم (٣٥٢/١) .

(٥٥) المسند (٤٨٩/٣) وإسناده حسن .

(٥٦) إسناده صحيح ، أخرجه أحمد فى المسند (١٩٠/١) ، والنسائى (١١٦/٧) ، وأبو داود (٤٧٧٢) ، والترمذى (١٤٢١) .

(٥٧) رواه مسلم فى الإمارة (١٦٣) ، والنسائى (٣٩/٦) ، والحاكم (٨٠/٢) ، وأحمد (٤٤٠/٥ ، ٤٤١) ، وابن حبان (٤٦٠٤ ، ٤٦٠٦) ، والبيهقى (٣٨/٩) ، والترمذى (١٦٦٥) ، الحلية (١٩٠/٥) ، انظر إرواء الغليل (١٢٠٠) .

(٥٨) أخرجه أحمد (٣٩١/٥) عن حذيفة ، وإسناده صحيح .

كفى بسكرات الموت مُنَغِّصاً !!

قال أبو حامد الغزالى رحمه الله[٥٩]: إعلم أنه لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ، ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقاً بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده ، لاسيما وهو فى كل نَفَس بِصَدَدِهِ ، كما قال بعض الحكماء : كَرْبٌ بِيَد سواك لا تدرى متى يغشاك !!

وقال لقمان لابنه : يابنى ! أمر لا تدرى متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك .

والعجب أن الإنسان لو كان فى أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندى فيضربه خمس خشبات ؛ لَتَكَدَّرت عليه لَذَّته وفسد عليه عيشه . وهو فى كل نَفَسٍ بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل !! فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور .

☐ **لا يعرف ألم الموت إلاَّ مَن ذاقه :**

واعلم أن شدة الألم فى سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلَّا مَن ذَاقَهَا ، ومَن لم يَذُقْهَا فإنما يعرفها بالقياس إلا الآلام التى أدْرَكَهَا ، وإما بالاستدلال بأحوال الناس فى النزع[٦٠] على شدة ما هُم فيه .

فأما القياس الذى يشهد له : فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم . فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح ، فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سَرَى الأثر إلى الروح ، وبقدر ما يسرى إلى الروح يتألم ، والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الألم . فإن كان من الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيرها فما أعظم ذلك الألم وأشده !!.

والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائها ، حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح إلا وقد حَلَّ به الألم .

(٥٩) الإحياء (٤/٤٤٥) .

(٦٠) أى نَزْعُ الروح من الجسد .

وألم النزع – نزع الروح – يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائها ؛ فإنه المنزوع المجذوب من كل عِرْق من العروق ، وعصب من الأعصاب ، وجزء من الأجزاء ، ومفصل من المفاصل ، ومن أصل كل شعرة وبشرة من المفرق إلى القدم . فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا : إن الموت لأشد مِن ضَرْبٍ بالسيف ونَشْرٍ بالمناشير ، وقَرْضٍ بالمقاريض ؛ لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المُتَنَاوَل المُبَاشَر نفس الروح !!!

وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قُوَّته فى قلبه ولسانه ، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه ؛ لأن الكرب قد بَالَغَ فيه وتَصَاعَد على قلبه ، وبَلَغَ كل موضع منه ؛ فَهَدَّ كل قوة ، وضعف كل جارحة ؛ فلم يترك له قوة الاستغاثة .. أما العقل فقد غشيه وَشَوَّشَه ، وأما اللسان فقد أبكمه ، وأما الأطراف فقد ضعفها . ويَوَد لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ، ولكنه لا يقدر على ذلك .

فإن بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارًا وغرغرةً من حَلْقِهِ وصَدْرِه ، وقد تَغَيَّر لونه وَارْبَدَّ[61] حتى كأنه ظهر منه التراب الذى هو أصل فطرته ، وقد جذب منه كل عرق على حياله ، فالألم منتشر فى داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالى أجفانه ، وتتقلص الشفتان ، ويتقلص اللسان إلى أصله ، وترتفع الأنثيان إلى أعالى موضعهما ، وتَخْضَرّ أنامله !!. فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ، ولو كان المجذوب عرقاً واحداً لكان ألمه عظيماً ، فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا مِن عرق واحد ؛ بل من جميع العروق !!.

ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجاً ، فتبرد أولاً قدماه ، ثم ساقاه ، ثم فخذاه ، ولكل عضو سَكْرَة بعد سكرة ، وكربة بعد كربة ، حتى يبلغ بها إلى الحلقوم ، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ، ويغلق دونه باب التوبة ، وتحيط به الحسرة والنَّدَامَة ، قال رسول الله ﷺ : « **تُقبل توبة العبد مالم يُغَرْغِر** »[62]... وقال مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ **وليست التوبة للذين**

---

(٦١) ازبَدّ : تغيَّر وجهه .. والرُّبْدَة : لون من السواد والغُبْرَة [لسان العرب (ص ١٥٥٥)] .

(٦٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٢/١٣٢ ، ١٥٣) ، وابن ماجه (٤٢٥٣) ، والترمذى =

يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تُبْتُ الآن ﴾[٦٣]
قال : إذا عَايَنَ الرسل – يعنى رسل الموت – فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت .

فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول : « **اللَّهُمَّ أَعِنِّى على سكرات الموت** »[٦٤].

□ جهل الناس بالموت :

والناس إنما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به ، فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تُدْرَك بنور النبوة والولاية ، ولذلك عَظُم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من الموت ، حتى قال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يُهَوِّن علىَّ هذه السكرة – يعنى الموت – فقد خِفْت الموت مخافةً أوقفنى خوفى من الموت على الموت .

□ مَن عَاشَ بعد الموت يتحدث عن طَعْمِ الموت ! :

عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **حَدِّثوا عن بنى إسرائيل فإنه كان فيهم الأعاجيب** » ثم أنشأ يُحَدِّث قال : « **خرجت رفقة مرة يسيرون فى الأرض فَمَرُّوا بمقبرة ، فقال بعضهم لبعض : لو صلينا ركعتين ثم دعونا الله عز وجل لعله أن يخرج لنا بعض أهل هذه المقبرة فيخبرنا عن الموت** » ، قال : « **فصلوا ركعتين ثم دعوا الله فإذا هم برجل خلاسى**[٦٥] **قد خرج من قبره ينفض رأسه ، بين عينيه أثر السجود فقال : يا هؤلاء ! ما أردتم إلى هذا ؟؛ لقد مِتُّ منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت إلى ساعتى هذه ، فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت** »[٦٦].

= (٣٥٣٧) وقال : هذا حديث حسن غريب .
وانظر مسند الإمام أحمد (٤٢٥/٣) ، (٣٦٢/٥) .
ما لم يغرغر : ما لم تبلغ روحه حلقومه .

(٦٣) النساء : ١٨ .

(٦٤) رواه أحمد (٦٤/٦ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ١٥١) ، وابن ماجه (١٢٦٣) ، والترمذى (٩٧٨) وقال : هذا حديث حسن غريب ...، عن عائشة .

(٦٥) خلاسى : بين السواد والبياض .

(٦٦) ذكره صاحب كنز العمال (٤٢٧٥٧) وعزاه لعبد بن حميد ولأبى يعلى وابن منيع والضياء =

وأخرج ابن أبى الدنيا بإسناد فيه نظر عن كعب قال : لا يذهب عن الميت ألم الموت مادام فى قبره ، وإنه لأشد ما يمر على المؤمن ، وأهون ما يصيب الكافر[٦٧].

وعن الأوزاعى قال : بلغنى أن الميت يجد ألم الموت ما لم يُبعث من قبره ، أو قال : إلى أن يُبعث من قبره[٦٨].

وقالت عائشة رضى الله عنها : لا أغبط أحداً يهون عليه الموت بعد الذى رأيتُ من شدة موت رسول الله ﷺ[٦٩].

وروى أنه ﷺ كان يقول : « **اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب**[٧٠] **والأنامل ، اللهم فأعنى على الموت وهَوِّنه علىَّ** »[٧١].

وعن الحسن أنه ﷺ ذكر الموت وغُصَّته وألمه فقال : « **هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف** »[٧٢].

وسُئِلَ رسول الله ﷺ عن الموت وشدته فقال : « **إن أهون الموت بمنزلة**

= والديلمى عن جابر.، وهو فى الفردوس للديلمى (٢٩٦٠) ، وفى كتاب « البعث » لابن أبى داود برقم (٥) ، وفى أهوال القبور لابن رجب (٢٣٧) . وعزاه لابن أبى الدنيا ولأبى يعلى ثم قال : وهذا إسناد جيد ، وذكره الغزالى فى الإحياء (٤٤٦/٤) بنحوه ، وفى إتحاف السادة المتقين (٢٦٠/١٠) عزاه لابن أبى الدنيا فى كتاب الموت ولابن أبى شيبة فى مسنده ولأحمد فى الزهد وعبد ابن حميد ولأبى يعلى والضياء ، وأخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب « من عاش بعد الموت » [برقم (٥٧) ص ٨٤ – ٨٥] ، وفى البداية والنهاية (١٣٣/٢) قال ابن كثير : هذا حديث غريب ، وانظر هناك بقية تعليقه عليه فهو مفيد إن شاء الله تعالى ، وفى التذكرة للقرطبى (ص٢٠) عزاه لابن أبى شيبة فى مسنده ،... وأخرجه أحمد فى الزهد (ص ٢٣) .

(٦٧) أهوال القبور لابن رجب برقم (٢٣٥) .

(٦٨) السابق (٢٣٦) .

(٦٩) أخرجه الترمذى (٩٧٩) .

(٧٠) القصب : عظام اليدين والرجلين وكل عظم مستدير مستطيل أجوف ، وكل عظم ذى مخ ، وشُعَب الحلق ، ومخارج الأنفاس .

(٧١) ذكره الغزالى فى الإحياء (٤٤٦/٤) قال العراق : رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب « الموت » بإسناد معضل .

(٧٢) الإحياء (٤٤٧/٤) قال العراق : رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب « الموت » مرسلاً ورجاله ثقات .

حَسَكَة[٧٣] فى صوف ، **فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف ؟** »[٧٤].

وروى أنه ﷺ دخل على مريض ثم قال : « **إنى أعلم ما يلقى ، ما منه عرق إلا ويألم للموت على حدته** »[٧٥].

وكان على كَرَّم الله وجهه يحض على القتال ويقول : إن لم تُقْتَلوا تموتوا ، والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون علىّ من موت على فراش .

وعن شداد بن أوس قال : الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن . وهو أشد مِن نَشْرٍ بالمناشير ، وقَرْضٍ بالمقاريض ، وغَلْىٍ فى القدور ، ولو أن الميت نُشِرَ[٧٦] فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ، ولا لَذُّوا بنوم .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : إذا بقى على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدّد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة ، وإذا كان للكافر معروف لم يُجْزَ به هوّن عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار .

وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى : كيف تجدون الموت ؟!، فلما مرض قيل له : فأنت كيف تجده ؟! فقال : كأن السماوات مطبقة على الأرض ، وكأن نَفَسِى يخرج من ثُقب إبرة !!

وفى حديث عائشة وابن مسعود أن النبى ﷺ قال : « **موت الفجأة راحة للمؤمن ، وأسف على الفاجر** »[٧٧].

---

(٧٣) الحسك : نبات له شوك .

(٧٤) الإحياء (٤٤٧/٤) وقال العراق : رواه ابن أبى الدنيا فى « الموت » من رواية شهر بن حوشب مرسلاً .

(٧٥) الإحياء (٤٤٧/٤) وقال العراق : رواه ابن أبى الدنيا فى « الموت » من حديث سلمان بسند ضعيف ، ورواه فى « المرض والكفارات » من رواية عبيد بن عمير مرسلاً مع اختلاف ورجاله ثقات .

(٧٦) أى بُعِثَ من قبره .

(٧٧) فتح البارى (٢٩٩/٣) وعزاه لابن أبى شيبة .

قلت : لكن فى مسند أحمد (١٧١/٢ ، ٢٠٤/٤) عن عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ استعاذ من موت الفجأة ...، وفى المسند (٤٢٤/٣ ، ٢١٩/٤) وفى سنن أبى داود أيضاً (٣١١٠) عن النبى ﷺ أنه قال : « موت الفجأة أخذة أسف » وفى إسناده مقال .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « **لو أن ألم شعرة من شعر الميت وُضعت على أهل السماوات والأرض لماتوا بإذن الله تعالى** »(٧٨).

سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه !

[وروى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما مات قال الله تعالى له : « **كيف وجدت الموت يا خليلى ؟** » ، قال : كَسَفُّود(٧٩) جُعل فى صوف رطب ثم جُذِبَ ، فقال : « **أما إنا قد هَوَّنَّا عليك** »(٨٠).

ورُوى عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه : « **يا موسى كيف وجدت الموت ؟** » قال : وجدت نفسى كالعصفور الحى حين يُقْلَى على المَقْلَى ، لا يموت فيستريح ، ولا ينجو فيطير .

وروى عنه أنه قال: وجدت نفسى كشاة حية تُسلخ بيد القَصّاب(٨١)](*).

وفى الحديث أن رسول الله ﷺ كان عنده قدح من ماء عند الموت ، فجعل يُدخل يده فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول : « **اللهم أعِنِّى على سكرات الموت** »(٨٢).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : لما ثقل النبى ﷺ جعل يتغشاه – أى كرب الموت وسكراته –، فقالت فاطمة عليها السلام : واكرب أباه ، فقال ﷺ : « **ليس على أبيك كرب بعد اليوم** »(٨٣).

وقال عمر رضى الله عنه لكعب الأحبار : يا كعب حَدِّثنا عن الموت . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن الموت كغُصن كثير الشوك أُدْخِل فى جوف

---

(٧٨) الإحياء (٤/٤٤٧) وعزاه العراق لابن أبى الدنيا فى « الموت » وقال : مرسل حسن الإسناد .
(٧٩) حديدة يشوى عليها اللحم .
(٨٠) التذكرة للقرطبى (ص٢١) ، الإحياء (٤/٤٤٧) .
(٨١) القَصّاب : الجَزّار ... انظر التذكرة (ص٢١) ، الإحياء (٤/٤٤٧) .
(*) مثل هذه الأخبار لا يعول عليها إلا بما صح فى الحديث .
(٨٢) تقدم تخريجه .
(٨٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب المغازى باب مرض النبى ﷺ ووفاته برقم (٤٤٦٢) ، وأحمد فى المسند (٣/١٤١) ، وابن ماجه (١٦٢٩) .

رجل ، وأخذت كل شوكة بعرق ، ثم جذبه رجل شديد الجذب ، فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى !.

فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه ، فما حالنا ونحن المنهمكون فى المعاصى ؟!!.

سكرات الموت على الأنبياء ... لماذا ؟!!

قال بعض أهل العلم : وما جرى على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين من شدائد الموت وسكراته فله **فائدتان** :

الأولى : أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن ، وقد يَطَّلِع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً ، ويرى سهولة خروج روحه ، فيغلب على ظَنّه سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه ؟، فلما ذكر الأنبياء الصادقون فى خبرهم شدة ألمه – مع كرامتهم على الله تعالى وتهوينه على بعضهم – قطع الخلق بشدة الموت الذى يُعانيه ويُقاسيه الميت مطلقاً لإخبار الصادقين عنه .

الثانية : ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء أحباب الله وأنبياؤه ورسله فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة ؟ وهو سبحانه قادر أن يخفف عنهم أجمعين ، كما قال فى قصة إبراهيم عليه السلام : « **أما إنا قد هَوَّنّا عليك** » ....؛ فالجواب : « **أن أشد الناس بلاءً فى الدنيا الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل** »[٨٤]، كما قال نبينا ﷺ ، فأحب الله أن يبتليهم تكميلاً لفضائلهم لديه ، ورفعة لدرجاتهم عنده ، وليس ذلك فى حقهم نقصاً ولا عذاباً ، بل هو كمال رفعة ، مع رضاهم بجميل ما يجرى الله عليهم ، فأراد الحق سبحانه أن يختم لهم بهذه الشدائد – مع إمكان التخفيف والتهوين عليهم – ليرفع منازلهم ، ويعظم أجورهم قبل موتهم ، كما ابتلى إبراهيم بالنار ، وموسى بالخوف والأسفار ، وعيسى بالصحارى والقفار ، ونبينا محمداً ﷺ بالفقر فى الدنيا ومقاتلة الكفار ، كل ذلك لرفعة فى أحوالهم ، وكمال فى درجاتهم .

---

(٨٤) رواه الترمذى (٢٣٩٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٤٠٢٣) ، وأحمد فى مسنده (١٧٢/١ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٥) ، والحاكم فى المستدرك (٤٠/١ – ٤١) ، والبيهقى (٣٧٢/٣) ، والدارمى (٢٧٨٣) ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٣/١) .

ولا يُفهم من هذا أن الله شَدَّدَ عليهم أكثر مما شَدَّدَ على العصاة ؛ فإن ذلك عقوبة لهم ومؤاخذة لهم على إجرامهم ، فلا نسبة بينه وبين هذا .

دواهي الموت ثلاث :

واعلم أن دواهي الموت ثلاث :

الأولى : شدة النزع ... وهو ما ذكرناه .

الثانية : مُشَاهَدَة صورة مَلَك الموت ، ودخول الروع والخوف منه على القلب ، فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته .

وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **إن داود النبي عليه السلام كان رجلاً غيورًا وكان إذا خرج أغلق الأبواب ، فأغلق ذات يوم فأشرفت امرأته فإذا هي برجل في الدار ، فقالت : مَن أدْخَلَ هذا الرجل ؟ لَئِن جاء داود لَيَلْقَيَنَّ منه عناء ... فجاء داود فرآه فقال : مَن أنت ؟ فقال : أنا الذي لا أهابُ الملوك ولا يمنع مني الحجاب ! فقال : واللهِ إذاً ملك الموت ، وزُمِّل**(٨٥) **داود عليه السلام مكانه** »(٨٦).

فهذه داهية يلقاها العصاة ، ويُكفاها المطيعون ، فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة النزع ، دون الروعة التي يدركها مَن يشاهد صورة ملك الموت ، ولو رآها في منامه ليلة لَتَنَغَّصَ عليه بقية عمره ، فكيف برؤيته في مثل تلك الحال ، وأما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها .

الثالثة : مشاهدة العصاة مواضعهم من النار ، وخوفهم قبل المشاهدة ، فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ، ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بإحدى البُشْرَيَيْن : إما أبشر يا عدو الله بالنار ، أو أبشر ياولي الله بالجنة ، ومن هذا كان خوف أرباب الألباب .

---

(٨٥) التزمُّل : التلفف بالثوب ، وفي القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ ... وفي حديث قتلى أُحُد : « زمِّلوهم بثيابهم » .

(٨٦) أخرجه أحمد في مسنده (٤١٩/٢) بنحوه وإسناده جيد ... قال العراقي : وهذا لفظ ابن أبي الدنيا في كتاب « الموت » [تخريج الإحياء (٤٤٨/٤)] .

وفى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **مَن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه** » ، فقالت عائشة – أو بعض أزواجه – : إنا لنكره الموت ، قال : « **ليس ذلك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضره الموت بُشِّر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه** »[٨٧].

وعن حذيفة بن اليمان أنه قال لابن مسعود وهو فى مرض موته من آخر الليل : قُم فانظر أىّ ساعة هى ؟، فقام ابن مسعود ، ثم جاءه فقال : قد طلع الصباح ، فقال حذيفة : أعوذ بالله من صباح إلى النار .

ودخل مروان علىٰ أبى هريرة فقال مروان : اللهم خَفِّف عنه ، فقال أبو هريرة : اللهم اشدد ، ثم بكى أبو هريرة وقال : واللهِ ما أبكى حُزْناً على الدنيا ، ولا جزعًا من فُراقِكم ، ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربى بجنة أم بنار .

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن المؤمن إذا احْتُضِرَ أتته الملائكة (ملائكة الرحمة) بحريرة بيضاء فتقول : أخرجى إلى روح وريحان ورب غير غضبان ، فتخرج كأطيب من ريح المسك حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتوا به باب السماء فيقولون : ما أطيب هذه الريح التى جاءتكم من الأرض ؟ فيأتون به أرواح المؤمنين فهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه ، فيسألونه : ماذا فعل فلان ؟ فيقولون : دعوه يستريح فإنه كان فى غَمِّ الدنيا ، فإذا قال : أتاكم فيقولون : إنه ذهب به إلى أمه الهاوية ، وإن الكافر إذا احْتُضِر أتته ملائكة العذاب بمِسْح[٨٨]، فيقولون : أخرجى مسخوطاً عليك إلى عذاب الله ، فتخرج كأنتن ريح جيفة**

---

(٨٧) تقدم تخريجه .
(٨٨) كساء غليظ .

حتى يأتوا به باب الأرض ، فيقولون : ما أنتن هذه الريح !، حتى يأتوا به أرواح الكفار »[٨٩].

وقد تقدم حديث البراء بن عازب وفيه بيان البشرى للمؤمن بالجنة وللكافر بالنار .، والله أعلم .

وقال الحسن : لا راحة للمؤمن إلا فى لقاء الله ، ومَن كانت راحته فى لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعِزِّه وشرفه .

---

(٨٩) أخرجه الحاكم فى المستدرك (١/٣٥٢ - ٣٥٣) ، وابن حبان (٣٠٠٣) ، والنسائى (٤/٨) ، وأبو نعيم فى الحلية (٣/١٠٤ - ١٠٥) ، وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٣٠٩) ، وانظر جامع الأصول (١١/٨٥ - ٨٧) .

من كلام المحتضرين
من الأمراء والصالحين

مِن كلام المُحْتَضِرِين من الأُمَرَاء والصَّالحِين

□ مع معاوية بن أبي سفيان :

لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال : أَقْعِدُونى ، فَأُقْعِد ، فجعل يُسَبِّح الله تعالى ويذكره ، ثم بكى وقال : تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط ؟!، ألا كان هذا وغصن الشَّباب نَضِر رَيَّان !، وبكى حتى علا بكاؤه وقال : يارب ارحم الشيخ العاصى ، ذا القلب القاسى ، اللهم أَقِلْ العثرة ، واغْفِر الزلة ، وعد بحلمك على مَن لم يَرْجُ غيرك ولم يثق بأحد سواك .

وروى عن شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة عليه فى مرضه ، فرأوا فى جلده غضوناً[٩٠]، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فهل الدنيا أجمع إلا ما جَرَّبْنَا ورأينا ؟ أما واللهِ لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا ، فما لبثتنا الدنيا أن نقضت ذاك منا حالاً بعد حال ، وعروة بعد عروة ، فأصبحت الدنيا وقد وترتنا[٩١] وأَخْلَقَتْنَا[٩٢] واستلأمت إلينا[٩٣].. أُفٍّ للدنيا من دار ، ثم أُفٍّ لها من دار .

ويروى أن آخر خطبة خطبها معاوية قال : أيها الناس ! إنى من زرع قد استُحْصِد ، وإنى قد وليتكم ، ولن يليكم أحد من بعدى إلَّا وهو شر منى ، كما كان مَن قبلى خيراً منى ، ويا يزيد إذا وفى أجلى فَوَلِّ غسلى رجلاً لبيباً ، فإن اللبيب من الله بمكان ، فلينعم الغسل ، وليجهر بالتكبير . ثم اعمد إلى منديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب النبى ﷺ ، وقراضة من شعره وأظفاره ، فاسْتَوْدِع القراضة أنفى وفمى وأُذُنَىّ وعَيْنَىّ ، واجعل الثوب على

---

(٩٠) الغضْنُ والغضَنُ : الكسر فى الجلد .

(٩١) أى أصابتنا بمكروه .

(٩٢) أصبحنا منها كالثوب البالى القديم .

(٩٣) يقال : استلأم الرجلُ إذ لبس ما عنده من عدة وسلاح .

جلدى دون أكفانى .. ويا يزيد احفظ وصية الله فى الوالدين ، فإذا أدرجتمونى فى حفرتى فَخَلُّوا معاوية وأرحم الراحمين .

وقال محمد بن عقبة : لما نزل بمعاوية الموت قال : ياليتنى كنت رجلاً من قريش بذى طوى[٩٤]، وأنى لم أَلِ من هذا الأمر شيئاً .

□ مع عبد الملك بن مروان :

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غَسَّال بجانب دمشق يلوى ثوباً بيده ، ثم يضرب به المغسلة ، فقال عبد الملك : ليتنى كنت غسالاً آكُلُ مِن كسب يدى يوماً بيوم ولم أَلِ من أمر الدنيا شيئاً .. فبلغ ذلك أبا حازم[٩٥] فقال : الحمد لله الذى جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه ، وإذا حضرنا الموت لم نَتَمَنَّ ما هم فيه .

وقيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه : كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أجدنى كما قال الله تعالى : ﴿ **ولقد جئتمونا فُرَادَى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خَوَّلْنَاكُم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تَقَطَّعَ بينكم وضَلّ عنكم ما كنتم تزعمون** ﴾[٩٦].. ومات .

□ مع عمر بن عبد العزيز :

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز : كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول : اللهم أخْفِ عليهم موتى ولو ساعة من نهار .. فلما كان اليوم الذى قُبِضَ فيه خرجتُ من عنده فجلستُ فى بيت آخر بينى وبينه باب ، وهو فى قُبَّة له ، فسمعته يقول : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلُوًّا فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾[٩٧]، ثم هدأ ، فجعلتُ لا أسمع له حركة ولا كلاماً ، فقلتُ لوصيف له : انْظُر أنائم هو ؟، فلما دخل صاح ، فَوَثَبْتُ فإذا هو ميت .

---

(٩٤) إسم موضع بالشام .

(٩٥) أبو حازم : سلمة بن دينار المخزومى المدنى ، عالم المدينة وواعظها ، من أصل فارسى . قال ابن خزيمة : ثقة لم يكن فى زمانه مثله له حكم ومواعظ .

(٩٦) الأنعام : ٩٤ .

(٩٧) القصص : ٨٣ .

وقيل له لما حضره الموت : اعْهد[٩٨] يا أمير المؤمنين ، فقال : أُحَذِّركم مثل مصرعى هذا فإنه لابُدّ لكم منه .

وروى أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دُعى له طبيب ، فلما نظر إليه قال : أرى الرجل قد سُقِىَ السم ، ولا آمَن عليه الموت . فرفع عمر بصره وقال : ولا تأمن الموت أيضاً على مَن لم يُسقَ السم .. قال الطبيب : هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين ؟! قال : نعم قد عرفت ذلك حين وقع فى بطنى . قال : فَتَعَالَج يا أمير المؤمنين ، فإنى أخاف أن تذهب نفسك ، فقال : ربى خير مذهوب إليه ، واللهِ لو علمت أن شفائى عند شحمة أُذُنى ما رفعت يدى إلى أذنى فَتَنَاوَلْتُه .. اللهم خِرْ لعمر فى لقائك ، فلم يلبث إلا أيامًا حتى مات .

وقيل : لما حَضَرَته الوفاة بكى ، فقيل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ أبشر فقد أحيا الله بك سُنَنَاً ، وأظهر بك عدلاً ؛ فبكى ، ثم قال : ألستُ أُوقَفُ فَأُسْأَل عن أمر هذا الخلق ؟! فواللهِ لو عدلتُ فيهم لَخِفْتُ على نفسى أن لا تقوم بحجتها بين يدى الله ، إلا أن يلقنها الله حجتها ، فكيف بكثير مما ضَيَّعْنَا ؟.. وفاضت عيناه ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات !.

ولما قَرُبَ وقت موته قال : أَجْلِسُونى . فَأَجْلَسُوه ، فقال : أنا الذى أَمَرْتَنى فَقَصَّرت ، ونهيتنى فعصيت – ثلاث مرات – ولكن لا إله إلا الله .. ثم رفع رأسه فَأَحَدّ النظر ، فقيل له فى ذلك فقال : إنى لأرى حضرة ماهم بإنس ولا جن ، ثم قُبِضَ رحمه الله .

□ مع هارون الرشيد :

وحكى عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت ، وكان ينظر إليها ويقول : ﴿ **ما أغنى عنى ماليه ۞ هلك عنى سلطانيه** ﴾[٩٩].

□ مع المأمون :

وفرش المأمون رماداً واضطجع عليه وكان يقول : يا مَن لا يزول مُلْكه ارحم مَن قد زال مُلكه !.

---

(٩٨) يعنى أوصِنَا .

(٩٩) الحاقة : ٢٨ – ٢٩ .

□ **مع الحجاج بن يوسف الثقفى :**

وقال الحجاج عند موته : اللهم اغفر لى ، فإن الناس يقولون إنك لا تغفر لى .. فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه ا لكلمة منه ، ويغبطه عليها .. ولما حُكى ذلك للحسن قال : أقالها ؟، قيل : نعم . قال : عسى .

□ **مع المعتصم :**

وقال المعتصم عند موته : لو علمت أن عمرى هكذا قصير ما فعلت !.

□ **مع معاذ بن جبل رضى الله عنه :**

ولما حضر معاذاً رضى الله عنه الموت قال : اللهم إنى قد كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أنِّى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لِجَرْي الأنهار ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء عند حِلَق الذِّكر .

ولما اشتد به النزع ، ونزع نزعاً لم ينزعه أحد ، كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال : ربِّ ما أحنقنى[100] حنقك ، فَوَعِزَّتك إنك تعلم أن قلبى يحبك .

□ **مع سلمان الفارسى :**

ولما حضرت سلمان الوفاة بكى ، فقيل له ما يبكيك قال : ما أبكى جزعًا على الدنيا ، ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون بُلْغَة[101] أحدنا من الدنيا كزاد الراكب ..، فلما مات سلمان نُظِرَ فى جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهماً أو بضعة وعشرون درهماً أو بضعة وثلاثون درهماً[102].

□ **مع بلال بن رباح رضى الله عنه :**

ولما حضر بلالاً الموت قالت امرأته : واحُزناه .. فقال : واطرباه ، غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه .

---

(١٠٠) الحنق : شدة الغيظ .
(١٠١) البُلغة : ما يكفى لسَّد الرمَق .
(١٠٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٤٣٨/٥) .

□ **مع إبراهيم النخعي :**

ولما حضر إبراهيم النخعي الموت بكى ؛ فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أنتظر من الله رسولاً يبشرني بالجنة أو بالنار !.

□ **مع ابن المنكدر :**

ولما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى ؛ فقيل له : ما يبكيك ؟ فقالَ : والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته ، ولكن أخاف أني أتيت شيئاً حسبته هَيِّناً وهو عند الله عظيم .

□ **مع عامر بن عبد القيس :**

ولما حضرت عامر بن عبد القيس الوفاة بكى ؛ فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر ، وعلى قيام الليل في الشتاء .

□ **مع الفضيل بن عياض :**

ولما حضرت فضيلاً الوفاة غُشي عليه ، ثم فتح عينيه وقال : وابُعْدَ سفراه واقِلَّة زاداه !.

□ **مع عبد الله بن المبارك :**

وفتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة ، وضحك وقال : ﴿ **لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾[١٠٣].

وقيل : لما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر (مولاه) : اجعل رأسي على التراب ؛ فبكى نصر ، فقال له : ما يبكيك ؟ قال : ذكرتُ ما كنتَ فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت فقيراً غريباً ، قال : اسكت ، فإني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الأغنياء ، وأن يميتني موت الفقراء . ثم قال له : لَقِّنِّي ، ولا تعد عليّ ما لم أتكلم بكلام ثان .

وبكى بعضهم عند الموت فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : آية في كتاب الله تعالى ، قوله عز وجل : ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾[١٠٤].

(١٠٣) الصافات : ٦١ .

(١٠٤) المائدة : ٢٧ .

ودخل الحسن رضى الله عنه على رجل يحتضر فقال : إن أمراً هذا أوله لجدير أن يُتَّقَى آخِره ، وإن أمراً هذا آخره لجدير أن يُزْهَد فى أوله .

□ مع الإمام الشافعى :

ودخل المزنى على الشافعى رحمة الله عليهما فى مرضه الذى توفى فيه ، فقال له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟، فقال : أصبحتُ من الدنيا راحلاً ، وللإخوان مفارقاً ، ولسوء عملى مُلاَقِياً ، ولكأس المنية شارباً ، وعلى الله تعالى وارداً ، ولا أدرى أروحى تصير إلى الجنة فأهنيها ، أم إلى النار فأعزيها .. ثم أنشأ يقول :

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى ... جعلتُ رجائى نحو عفوك سُلّمَا
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته ... بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فمازلتَ ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو مِنَّة وَتَكَرُّمَا
ولولاك لم يُغْوَ بإبليس عابدٌ ... فكيف وقد أغوى صفيك آدما

فهذه أقوالهم عند الموت ، وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم ، فغلب على بعضهم الخوف ، وعلى بعضهم الرجاء ، وعلى بعضهم الشوق والحب ، فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله ، والله أعلم .

وفاة النبى ﷺ
والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم

ذكر وفاة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم(*)

اعلم أن فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة فى كل أحواله ، ومعلوم أنه ليس فى المخلوقين أحد أحب إلى الله تعالى منه ، ولم يؤخره الله تعالى حين انقضى أجله .

وقد لقى ﷺ من الموت شدة ، فروى البخارى فى صحيحه من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : كان بين يدى رسول الله ﷺ ركوة أو علبة فيها ماء ، فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه ويقول : « **لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات** »(١٠٥).

وفى صحيح البخارى من حديث أنس رضى الله عنه قال : لما ثقل النبى ﷺ جعل يتغشاه الكرب ، فقالت فاطمة رضى الله عنها : واكرب أبتاه !، فقال ﷺ لها : « **ليس على أبيك كرب بعد اليوم** »(١٠٦).

وروى ابن مسعود قال : اجتمعنا فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها ، فنظر إلينا رسول الله ﷺ فدمعت عيناه ، فنعى إلينا نفسه وقال : « **مرحباً ، حيّاكم الله بالسلام ، حفظكم الله ، رعاكم الله ، جمعكم الله ، نصركم الله ، وفقكم الله ، نفعكم الله ، رفعكم الله ، سلمكم الله ، أوصيكم بتقوى الله ، وأوصى الله بكم ، وأستخلفه عليكم** » . قلنا : يارسول الله ! متى أجلك ؟ قال : « **قد دنا الأجل ، والمنقلب إلى الله ، وإلى سدرة المنتهى وجنة المأوى ، والفردوس الأعلى** » قلنا : يارسول الله ! ففيم نكفنك ؟ قال : « **فى ثيابى هذه إن شئتم ، أو يمنية ، أو بياض** » قلنا : يارسول الله ! مَن يصلى عليك ؟ وبكينا ، فقال : « **مهلاً ، رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيراً ، إذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى هذا على شفير قبرى ، ثم اخرجوا عنى**

(*) مختصر منهاج القاصدين (٣٨٩ - ٣٩٤) ، إحياء علوم الدين (٤/٤٥٢ - ٤٦٦) .

(١٠٥) تقدم تخريجه .

(١٠٦) تقدم تخريجه .

ساعة ، فإن أول من يُصَلّى علىّ خليلى وحبيبى جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم ملك الموت ، ثم ملائكة كثيرة ، ثم ادخلوا علىّ فَوْجاً فوجاً ، فصلوا علىّ وسلّموا تسليماً ، ولا تؤذونى بتزكية ، ولا برنة ، ولا بصيحة ، وليبدأ بالصلاة علىّ رجال أهل بيتى ، ثم نساؤهم ، ثم أنتم بعد ، واقرءوا السلام على مَن غاب عنى من أصحابى ، وعلى مَن تابعنى على دينى إلى يوم القيامة ، ألا وإنى أُشهدكم أنى قد سلَّمت على كل مَن دخل فى الإسلام »[107].

فتوفى رسول الله ﷺ مستنداً إلى صدر عائشة رضى الله عنها فى كساء مُلَبَّد ، وإزار غليظ ، وقامت فاطمة رضى الله عنها تقول : يا أبتاه !! أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه ! إلى جبريل ننعاه ، يا أبتاه ! من ربه أدناه ، فلما دُفن قالت : يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ !؟!.[108]

وقال أبو بكر رضى الله عنه :

لما رأيت نبينا متجدلاً ... ضاقت علىّ بعرضهن الدور
وارتعتُ روعة مستهام والِهٍ ... والعظم منى واهن مكسور
أعتيق ويحك إن حبك قد ثوى ... وبقيت منفرداً وأنت حسير
ياليتنى من قبل مَهْلك صاحبى ... غُيّبتُ فى جدث عَلَىَّ صخور[109]

وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

روى أبو المليح أن أبا بكر رضى الله عنه لما حضرته الوفاة أرسل إلىّ عمر رضى الله عنه فقال : إنى أوصيك بوصية إن أنت قبلت عنى : إن لله عز وجل حقاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وإن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا يقبل النافلة حتى تؤدَّى الفريضة ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه

(١٠٧) الحديث ضعيف جداً ، أخرجه ابن سعد فى طبقاته والطبرانى فى الدعاء ، والواحدى فى التفسير بسند واه جداً . [انظر شرح إحياء علوم الدين (١٠/٢٩٠ - ٢٩١) ، انظر أيضاً تخريج العراق لإحياء علوم الدين (٤/٤٥٣)] .

(١٠٨) رواه البخارى فى المغازى باب مرض النبى ﷺ ووفاته برقم (٤٤٦٢) ، وابن ماجه (١٦٣٠) .

(١٠٩) يُرَاجع تفصيل ذلك فى كتابنا : « وفاة الرسول ﷺ » .

فى الآخرة باتباعهم الحق فى الدنيا ، وثقلت ذلك عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلاً ، وإنما خَفَّت موازين مَن خَفّت موازينه فى الآخرة باتباعهم الباطل ، وخِفّته عليهم فى الدنيا ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً ..، ألم تر أن الله أنزل آية الرجاء عند آية الشدة ، وآية الشدة عند آية الرجاء ؛ ليكون العبد راغباً راهباً لا يلقى بيديه إلى التهلكة ، ولا يتمنى على الله غير الحق ، فإن أنت حفظت وصيتى هذه ؛ فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت ، ولابّد لك منه ، وإن أنت ضيّعت وصيتى هذه ؛ فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت ، ولابّد لك منه ، ولست تُعجزه .

وقيل : لما احتضر جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فكشف رضى الله عنه عن وجهه وقال : ليس كذلك ، ولكن قولى : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾[110]، انظروا ثَوْبَىَّ هٰذين فاغسلوهما ، وكَفِّنونى فيهما ، فإن الحى أحوج إلى الجديد من الميت .

وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

عن ابن عمر قال : كان رأس عمر فى حجرى بعد ما طُعن ، وكان مرضه الذى توفى فيه ، فقال : ضع خَدّى على الأرض ، فقلت : وما عليك إن كان فى حجرى أم على الأرض ؟! وظننت أن ذلك تَبَرُّم به ؛ فلم أفعل ، فقال : ضع خَدّى على الأرض لا أُمّ لك ، ويلى وويل أمى إن لم يرحمنى ربى .

وروى أنه لما طُعن وحُمل إلى بيته ، وجاء الناس يثنون عليه ، جاء رجل شاب فقال : أَبشِر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله لك ، صُحبة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقدم فى الإسلام ما قد علمت ، ثم وُلِّيت فعدلت ، ثم شهادة ، فقال : وددتُ أن ذلك كان كفافاً ، لا لى ولا عَلَىَّ ،

---
(١١٠) ق : ١٩ .

ثم قال : يا عبد الله بن عمر انطلق إلى عائشة أم المؤمنين ، فقل : عمر يقرأ عليك السلام ، ولا تقل : أمير المؤمنين ، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً ، وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدْفَن عند صاحبيه ، فمضى وسَلّم واستأذن عليها ، ثم دخل فوجدها قاعدة تبكى ، فقال : عمر يقرأ عليك السلام ، ويستأذن أن يُدفن عند صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسى[111]، ولأوثرنه اليوم على نفسى ، فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء ، قال : ارفعونى ، فأسنده ، رجل إليه ، فقال : ما وراءك ؟ قال : الذى تحب يا أمير المؤمنين ، أُذِنَت . قال : الحمد لله ، ما كان شىء أحب إلَىَّ من ذلك ، فإذا أنا مت فاحملونى ، ثم سَلِّم وقل : يستأذن عمر ابن الخطاب ، فإن أُذِنَت فأدخلونى ، وإن رَدَّتْنى ، فَرُدُّونى إلى مقابر المسلمين .

وفى صحيح البخارى أن عمر رضى الله عنه قال : والله لو أن لى طلاع[112] الأرض ذهباً لافتديتُ به من عذاب الله قبل أن أراه[113].

وفى خبر آخر : والله لو أن لى ما طلعت عليه الشمس أو غربت ، لافتديت به من هول المطلع .

وفاة عثمان بن عفان رضى الله عنه

عن نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان رضى الله عنه قالت : لما كان اليوم الذى قُتل فيه عثمان ظَلّ فى اليوم الذى قبله صائماً ، فلما كان عند إفطاره سألهم[114] الماء العذب ، فلم يعطوه ، فنام ولم يفطر ، فلما كان وقت السَّحَر أتيتُ جارات لى على أجاجير[115] متصلة فسألتهم الماء العذب ، فأعطونى كوزاً من ماء ، فأتيته فَحَرَّكْتُه فاستيقظ ، فقلت : هذا ماء عذب ، فرفع رأسه فنظر إلى الفجر ، فقال : إنى قد أصبحتُ صائماً ،

---

(١١١) أى مكان الدفن ، وهو بجوار النبى ﷺ والصِّدِّيق رضى الله عنه .
(١١٢) طلاع الشىء : مِلْؤُه .
(١١٣) رواه البخارى فى فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب برقم (٣٦٩٢) .
(١١٤) سأل الذين يحاصرونه فى بيته .
(١١٥) الأجاجير : جمع إجَّار ، وهو السطح بلغة أهل الشام .

وإن رسول الله ﷺ اطَّلَعَ علىَّ من هذا السقف ومعه ماء عذب ، فقال : « **اشرب يا عثمان** » ! فشربتُ حتى رويت ، ثم قال : « **ازدد** » فشربت حتى نهلت[116]، ثم قال : « **إن القوم سينكرون عليك ، فإن قاتَلْتَهُم ظفرت ، وإن تركتهم أَفْطَرْتَ عندنا** » ، قالت : فدخلوا عليه من يومه فقتلوه .

وعن العلاء بن الفضيل عن أبيه قال : لما قُتل عثمان بن عفان رضى الله عنه فَتَّشوا خزانته ، فوجدوا فيها صندوقاً مُقفلاً ففتحوه ، فوجدوا فيها حُقّة فيها ورقة مكتوب فيها : هذه وصية عثمان ، بسم الله الرحمن الرحيم ، عثمان ابن عفان يشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الله يبعث مَن فى القبور ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد ، عليها نحيا ، وعليها نموت ، وعليها نُبعث إن شاء الله تعالى .

وفاة على بن أبى طالب رضى الله عنه

عن الشعبى قال : لما ضُرب علىُّ رضى الله عنه تلك الضربة قال : ما فُعِل بضاربى ؟، قالوا : أخذناه ، قال : أطْعِمُوه من طعامى ، واسقوه من شرابى ، فإن أنا عشت رأيتُ فيه رأيى ، وإن أنا مت فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدوه عليها ، ثم أوصى الحسن أن يغسله وقال : لا تغالى فى الكفن ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا تغالوا فى الكفن فإنه يسلبه سلباً سريعاً** »[117]، امشوا بى المشيتين لا تُسرعوا بى ، ولا تُبطئوا ، فإن كان خيراً عجلتمونى إليه ، وإن كان شراً ألقيتمونى عن أكتافكم .

وروى أنه لما كانت الليلة التى أُصيب فيها علّى رضى الله عنه أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة ، وهو مضطجع متثاقل ، فعاد الثانية وهو كذلك ، ثم عاد الثالثة فقام يمشى وهو يقول :

اشدد حيـــازيمك للمـــوت ... فـــإن الموت لاقيكـــــا
ولا تجزع مـــــن الموت ... وإن حَـــلّ بناديكـــــا

---

(116) أى شرب مرة أخرى حتى شبع .

(117) رواه أبو داود فى سننه برقم (3154) .

فلما بلغ الباب الصغير شَدّ عليه عبد الرحمن بن ملجم فضربه .

وعن محمد بن على أنه لما ضُرب أوصى بنيه ، ثم لم ينطق إلا بـ « **لا إله إلا الله** » حتى قُبض .

من أراد واعظاً فالموت يكفيه

من أراد مؤنساً فالله يكفيه ، ومن أراد حُجَّة فالقرآن يكفيه ، ومن أراد غنى فالقناعة تكفيه ، ومن أراد واعظاً فالموت يكفيه ، ومن لم يَكْفِهِ شيء من هذا فالنار تكفيه .

قال – ﷺ – : « إن من الشعر حكمة »(*).

وعن أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – قالت : الشعر منه حسن ، ومنه قبيح ، خُذ الحسن ، ودع القبيح(**).

(*) البخارى (٦١٤٥) .

(**) رواه البخارى فى الأدب المفرد بسند حسن [فتح البارى (١٠/٥٥٥)] .



☐ هَانَ دمي فها ندمي :

قال أبو زكريا التيمي : بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد إذ أتى بحجر وفيه خط منقوش ، فلم يحسن أحد مما كان عنده يقرأه ، فأتى بوهب ابن منبه فقرأه فإذا فيه : ابن آدم لو رأيت قُرب ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ، ولرغبت فى الزيادة من عملك ، ولقصرت من حرصك وحيلك ، وإنما تلاقى ندمك ، إذا زل به قدمك ، وأسلمك أهلك وحشمك ، وبان عنك الولد والقريب، ورفضك الوالد والنسيب ، فلا أنت إلى دنياك عائد ، ولا فى حسناتك زائد ، فاعمل ليوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة ، يا شدة الوجل عند هجوم الأجل ، يا حسرة الفوت عند طول الموت .

إلى حتفـى سعـى قدمـى أرى قدمـى أراق دمـى
فمـا أنـفك مـن غـرم وهـان دمـى فهـا ندمـى[118]

استلب زمانك يا مسلوب ، وغالب الهوى يا مغلوب ، وحاسب نفسك فالعمر محسوب ، وامح قبيحك فالقبيح مكتوب ، واعجبا لضاحك وعليه ذنوب ، ولنائم وهو مطلوب !

تَزَوَّد من الدنيا فإنك لا تدرى إذا جَنّ ليلك هل تعيش إلى الفجر ؟
فكم من سليم مات من غير علة وكم من سقيم عاش حينا من الدهر
وكم من فتى يمسى ويصبح لاهياً وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدرى

☐ لماذا نكره الموت ؟ :

قال رجل لأبى الدرداء رضى الله عنه : ما بالنا نكره الموت ؟ فقال : لأنكم أخربتم آخرتكم ، وعَمَّرتم دنياكم ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العُمران إلى الخراب !.

☐ أين نَزَل الراحلون ؟ :

تفكروا فى الذين رحلوا أين نزلوا ؟ وتذكروا أنهم نُوقشوا وسُئلوا ، واعلموا أنكم ترحلون كما رحلوا ، واعلموا أنهم وَدُّوا لو رُدُّوا فعلموا :

(118) تنسب الأبيات للحجاج بن يوسف .

سألتُ الـــدار تخبرنى | عن الأحباب ما فعلوا
فقالت لى أناخ القوم | أياماً وقد رحلوا
فقلتُ : وأين أطْلُبُهم | وأىُّ منازلٍ نزلوا
فقالت : بالقبور وقد | لقوا واللهِ ما عملوا
أناس غرَّهُم أملٌ | فبادرهم به الأجلُ
وأثْبتَ فى صحائفهم | قبيحَ الفعلِ والزللِ
فلا يستعتبون ولا | لهم ملجأ ولا حِيَلُ
ندامَى فى قبورهم | وما يغنى وقد حصلوا[119]

أين مَن كانت الألسن تهذى بهم لتهذيبهم ، أضحت فُلْك الاختبار تجرى بهم لتجريبهم ، وقام منادى الرحيل يغرى بهم لتغريبهم ، فباتوا فى القبور لا أنيس لغريبهم !

أعِدْ على فكرك أسلاف الأمم | وَقِفْ على ما فى القبور من الرمم
ونادِهِم : أين القوى فيكم | ذو القهر ؟ أم أين الضعيف المهتضم ؟
تَفَاضَلَت أقدامهم فوق الثرى | ثم تساوى تحته كلُّ قدم
قبر البخيل والكريم واحدٌ | ما نفع البخل ولا ضَرّ الكرم
واعجبا لغافل أمامه | هموم ما لا يتقى إذ هجم
إذا تخطَّاه على عهد الصبا | أو الشباب لم يَفُتْهُ فى الهَرَم
أى خليلين أقاما أبدا | ما افترقا ؟ وأى حبل ما انصرم ؟

☐ ما هذا الجزع ؟! :

يروى أن ملك الموت إذا قبض روح الميت وقف على باب الدار ينظر ماذا يفعل أهله ؟!، فيرى الناشرة شعرها ، واللاطمة خدها ، والداعية بويلها ، فيقول لهم : يا أهل الدار ما هذا الجزع الذى أراكم به ؟ واللهِ ما نقصتُ من رزقه ، ولا قبضته دون أَجَله ، فإن يكن هذا مِن أَجْلِى فإنى عبد مأمور ، وإن يكن تسخطاً على ربكم فالسخط لا يرد المقدور ، ألا وإنّ لى فيكم عودة ، ثم عودة ، حتى يرث الله الأرض ومَن عليها ، والذى نفسى بيده لو ترون مكانه وتسمعون صوته لأذهلكم ذلك عن مَيِّتكم وشغلكم بأنفسكم .

---

(١١٩) تنسب الأبيات لأبى العتاهية .

أيها الباكــــى على خِلِّــــهِ نـفسك فابْكِهَــا ولا تُبْكِــهِ
إن الـذى يبكــى على غيره يوشك أن يَسْلُك فى سِلْكِـهِ

□ عنـوان اللحـد :

اسمع يا مقيماً فى دائرة دار الغير ، كم حَضَرْتَ فيها عبداً يُحْتَضَر ؟، كم عاينت قبراً يُحْتَفَر ؟، لقد ألانت مواعظها كل صلد حجر .. أما مصير التَّلَف نذير الخَلَف ؟، أما اضطجاع الطفل فى المهد عنوان اللحد ؟، تَذَكَّر يا مَن جنى ركوب الجنائز ، تَصَوَّر يا مَن ما وَفَّى طول المفاوز[١٢٠].

بينا ترى الإنسان يرتع لاهياً والعيش أخضر والزمان نضير
وافاه خَطْبٌ لا يقوم لحسرة رضوى ولا يقوى عليه ثبير

□ يا مَن أنفاسه محفوظة ! :

يا مَن أنفاسه محفوظة ، وأعماله ملحوظة !، أَتُنْفِق العمر النفيس فى نَيْل الهوى الخسيس ؟

جَـدَّ الزمـانُ وأنت تلــعبُ والعمــر فى لاشىء يــذهبُ
كم كم تقـول غـدا أتــوب غـد غـدا والموت أقــرب

يا هذا أما عمرك فى كل يوم يُنْتَهَب ؟ أما المعظم منه قد ذهب ؟ فى أى شيء ؟ فى جمع الذهب ؟ تبخل بالمال وبالعمر تهب ، يا مَن إذا خلى تَفَكَّر وحَسَب ، أَمَّا نزول الموت فما حسب ، لك نوبة لا تشبه النوب ، وبين يديك كربة لا كالكُرَب ، تطلب النجاة ولكن لا مِن باب الطلب ، تقف فى الصلاة إن صلاتك عجب !! الجسم حاضر والقلب فى شغب .

يا آدمى أتدرى ما مننت به ؟ أم دون ذهنك ستر فليس ينجاب
يوم ويوم ويفنى العمر فى لعب عام جديب وعام فيه إخصاب
فـلا تغرنك الدنيا بزخرفهـا وإرثها وإن بلاها عاقل صاب

□ سعيد بن المسيب والجنى :

دخل سعيد بن المسيب رضى الله عنه مسجد رسول الله ﷺ ، فجعل يلتفت فى أركان المسجد يتفكر فيمن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ ثم بكى وجعل يقول :

ألا ذهب الحماة وأسلمـونى فوا أسفا على فَقْدِ الحمـاةِ

(١٢٠) المفازة : الصحراء .

تَوَلّـوا للقبـور فأسقمـونى   فوا أسفا على فقد الثقـاةِ

فأجابه هاتف من ركن المسجد بصوت محزون ، من كبد مشجون وهو يقول :

فدع عنك الثقاةَ فقد تولـوا   ونفسك فابكها حين المـمات
فكـلُّ جماعـة لابـد يومـاً   يفرق بينهم وَقْـعُ الشتـاتِ

فقال سعيد : مَن أنت فقد زدتنى حزنا ؟، فقال : أنا من مؤمنى الجن ، كنا فى هذا المسجد سبعين رجلاً فأتى الموت على جماعتنا كما أتى على جماعتك ، ولم يبق منهم غيرى كما لم يبق من الإنس غيرك ، وإنا بهم لاحقون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وأنشد بعضهم :

جرت الرياح على جميع ديارهم   فكـأنما كانـوا على ميعـاد
فأرى النعيم وكل ما يلهى به   يومـاً يصير إلى بلى ونفـاد

□ الجن تنعى المهدى :

كان المهدى يتمشى فى قصره – وقد سماه قصر السلام – فسمع هاتفًا يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول :

كأنى بهذا القصر قد باد أهله   وأوحش منـه ربعـه ومنازلـه
وصار عميد القوم من بعد بهجة   وملك إلى قبر عليه جنادلـه
ولم يبق إلا ذكـره وحديثـه   تنادى عليه معـولات حلائلـه

فما عاش بعدها إلا عشراً حتى مات !.

□ تذَكُّرْ مَن سبقوك :

يا مَـن تقَـدَّم جَـدُّهُ وأبـوه   وصديقه سكن الثرى وأخـوهُ
وغـدا إلى دار البلى أترابـه   ومضى إلى حفر القبور بنوه
ورأى مصارع إخوةٍ وقرابـةٍ   بين الثرى فى برزخ سكنـوه
ألا أتـيت قبورهـم فسألتها   عنهم وعن ما فى القبور لقوه
فلتـخبرنك أن أحكـام الـبلى   تجرى عـليهم همو وطنـوه
وليخبرنك أنهم وجدوا الـذى   عملـوه مكتوبـاً كما عملـوه
ما زادت الحفظاء فى أعمالهم   مثقـال خردلـة ولا نـقصوه

يا معشر الإخوان إن سبيلكم كسبيلهم فى كل ما سلكوه
ولكم نصيب فى البلى كنصيبهم وكأنه قد حَلّ فانتظروه
ومحجب قد غرهم بحجابه لما أتاه الموت ما حجبوه
لكنهم سجوه فوق سريره وتكفلوه بأربع حملوه
ساروا به حتى إلى دار البلى بيتٌ له تحت الثرى قبروه
حتى إذا ما غَيَّبَتْهُ أكُفُّهُم بين الجنادل فى الثرى تركوه
وتفرقوا عن بابه وتبدّلوا باباً سواه وغَيَّروا ونسوه

□ لو كان يعلم غيباً مات مِن كَمَدِ !! :

وللشافعى رحمه الله :

ومُتعِب العيس مُرتاحاً إلى بلد والموت يطلبه فى ذلك البلدِ
وضاحكٍ والمنايا فوق مَفرِقِهِ لو كان يعلم غيبا مات مِن كمد
مَن كان لم يُؤْتَ عِلْمًا فى بقاء غد ماذا تَفَكُّرُه فى رزق بَعد غد ؟!

□ أما أَنْذَرَكَ الشيب ؟! :

وله أيضاً رحمه الله :

خَبَتْ نارُ نفسى باشتعال مفارقى وأظْلَمَ لَيْلِى إذ أضاء شهابها
أيا بومةً قد عششت فوق هامتى – على الرغم منى – حين طار غُرابُها
رأيتِ خراب العُمر منى فَزُرْتِنِى ومأواكِ من كُلِّ الديار طرابها
أأَنْعَمُ عيشاً بعدما حل عارضى طلائع شَيْبٍ ليس يغنى خضَابُها ؟
وعزة عُمْر المرء قبل مَشِيبِهِ وقد فَنِيَت نفس تَوَلَّى شبابُها
إذا اصْفَرَّ لون المرء وابْيَضَّ شعره تَنَغَّص من أيامه مستطابُها
فَدَعْ عنك سوءات الأمور فإنها حرام على نفس التَّقِىِّ ارتكابُها
وأَدِّ زكاة الجاه واعلم بأنها كمثل زكاة المال تمّ نِصابُها
وأحسِن إلى الأحرار تملك رقابهم فخير تجارات الكرام اكتسابها
ولا تمشين فى منكب الأرض فاخراً فَعَمّا قليل يحتويك تُرابها
ومَن يَذُق الدنيا فإنى طَعِمْتُها وسيق إلينا عذبها وعذابُها
فلم أرها إلا غروراً وباطلاً كما لاح فى ظهر الفلاة سَرابُها
وما هى إلا جيفةٌ مستحيلةٌ عليها كلاب هَمُّهُن اجتذابُها
فإن تجتنبها كنت سِلْمًا لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها
فطوبى لنفس أولعَت قعر دارها مُغَلّقة الأبواب مُرْخًى حجابها

□ كُل نفس ذائقة الموت :

قيل : لما نزل قول الله تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾[121] قالت الملائكة : متنا وعزة الله ،... فعند ذلك أيقن كل ذى عقل وروح أنه هالك .

أيضحك مَن للموت فيه نصيب — وينعم عيشاً إن ذا لعجيبُ
ويأكل والأيام تأكل عمره — وليس له جسم لذاك يذوب
ومَن عرف الرحمٰن لم يهن قلبه — نعيم ولم ينفك عنه نحيب
بعدت عن الورد الرضى بزلة — وبى قطعت دون الوصول ذنوب

قال الله تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ ...، يموت كل صغير وكبير ، يموت كل أمير و وزير ، يموت كل عزيز وحقير ، يموت كل غنى وفقير ، يموت كل نبى و ولى ، يموت كل نجى وتقى ، يموت كل زاهد وعابد ، يموت كل مُقر وجاحد ، يموت كل صحيح وسقيم ، يموت كل مريض وسليم ،ا كل نفس تموت غير ذى العزة والجبروت .

ألا كل مولود فللموت يولد — ولست أرى حَيًّاً عليها يُخَلَّدُ
تَجَرَّد من الدنيا فإنك إنما — خرجت من الدنيا وأنت مُجَرَّدُ
وأنت وإن خولت مالاً وكثرة — فإنك فى الدنيا على ذاك أوحدُ
وأفضل شىء نلت منها فإنه — متاع قليل يضمحلُ وينفدُ
فكم من عزيز أعقب الذل عزه — فأصبح مذموما وقد كان يُحمدُ
فلا تحمد الدنيا ولكن فذمها — وما بال شىء ذَمَّهُ الله يُحمدُ

□ ذِكْرُ المَوْتِ :

روى أن عيسى عليه السلام قال : « **مامن مولود يولد إلا وفى سُرَّته من تراب الأرض التى يمت فيها** » .

وأنشدوا :

أمُرُّ على المقابر كل حين — ولا أدرى بأى الأرض قبرى
وأفرح بالغِنَى إن زاد مالى — ولا أبكى على نقصان عمرى

ما أحسن مَن ذكر الموت فعمل الخلاصة قبل الفوت ، وأشغل نفسه بخدمة

---

(121) آل عمران : 185 ، الأنبياء : 35 ، العنكبوت : 57

مولاه ، وقدّم من دنياه لأخراه ، ورغب فى دار لا يزول نعيمها ولا يُهان كريمها .

وأنشدوا :

الموت لاشك آت فاستعد له — إن اللبيب بذكر الموت مشغولْ
فكيف يلهو بعيش أو يلذ به — مَن التراب على عينيه مجعول

وقيل للربيع رحمه الله : ألا تجلس معنا نتحدث ؟، فقال : إن ذِكْرَ الموت إذا فارق قلبى ساعة فسد علىّ قلبى .

وأنشدوا :

ما أغفل الناسَ عن وعيـد — قربـــه الليــــل والنهار
والعار ما جَـرَّت المعـاصى — وليس فى النائبـات[122] عـــار
ويحك مـا تصنـع ؟، المنايـا — تـأتى فتـخلى لها الديـــار
فـلا قلـــوب لها عيـــون — ولا عيـــون لها اعتبـــار

عباد الله اسعوا فى فكاك رقابكم ، وأجهدوا أنفسكم فى خلاصها قبل أن تزهق ، فوالله ما بين أحدكم وبين الندم ، والعلم بأنه قد زلت به القدم ، ألا أن يحوم عقاب[123] الموت عليه ، يفرق سهامه إليه ، فإذا الندم لا ينفع ، وإذا العُذر لا يصنع ، وإذا النصير لا يدفع ، وإذا الشفيع لا يشفع ، وإذا الذى فات لا يُسترجع ، وإذا البائس المحابى به فى النجاة لا يطمع ، فكأنى بك ياأخى وقد صرخ عليك النسوان ، وبكى عليك الأهل والإخوان ، وفقدك الولدان والجيران ، ونادى عليك المنادى : قد مات فلان بن فلان ... ثم نُقلت عن الأحباب ، وحُملت إلى أرماس[124] التراب ، وأضجعوك فى محل ضنك ، قصير السمك ، مهول منظره ، كثير وعره ، مغشى بالوحشة .

المرء يخدعـــه مُنـــاه — والدهـر يسرع فى بـــلاه
يـــاذا الشيبـــه فلاتكــــن — ممن تعبـــده هــــــواه
وأعلـم بـأن المرء مرتـــ — ـــهـن بما كسبت يـــداه
والنـــاس فى غفـــلاتهم — والموت دائـــرةٌ رُحَـــاه
الحمــــد لله الـــــذى — يبقـــى ، ويهلك مـــا سواه

* * *

(١٢٢) النائبات : المصائب .
(١٢٣) العقاب : طائر من الجوارح .
(١٢٤) الرَّمس : القبر .

وقالوا :

تيَقَّظ للــذى لابُــدَّ منــهُ ... فــإن الموت ميقــات العبــاد
يَسُرك أن تكون رفيقَ قومٍ ... لهم زادٌ بــــــغير زادِ ؟!

* * *

وأنشدوا :

ألا أيها المغرور والموت نحوه ... خلقت له تحدو إليه الركائب
أَغَرَّكَ حلم الله أم لست موقنا ... بأنك مبعوث غداً ومُحَاسَب
بأيسر من مثقال حبة خردل ... وإنك مجزى بما أنت كاسبُ

* * *

وقال بعضهم :

أرى المرء يبكى للذى مات قبله ... وموت الذى يبكى عليه قريب
وما الموت إلا فى كتاب مؤجل ... إلى ساعة يُدعى لها فيجُيب

□ إغتنم عمرك قبل دنو أجلك :

فى « **اللطائف** » لابن الجوزى قال – رحمه الله – : إخوانى ! ارفضوا الدنيا فقد رفضت مَن كان أشغف بها منكم ، واتَّعظوا بمَن كان قبلكم قبل أن يَتَّعظ بكم مَن بعدكم ، الدنيا خمر سَاعَدَها تغريد طائر الطبع فاشتد سُكر الشارب ، ففات موسم الربح ، ثم بعد الإفاقة يقام الحد ، ويكفى فى الضرب فوت الخير ، فـ : « **الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا** »[١٢٥]. وَيْحَكَ ! إن الموت سحاب والشَّيب وابله[١٢٦]، ومَن بلغ السبعين اشتكى من غير علة ، والعاقل مَن أصبح على وَجَل[١٢٧] مِن قُرب الأجل .

ياهذا ! الدنيا وراءك والآخرة أمامك ، والطلب لما ورائك هزيمة ، وإنما العزيمة فى الإقدام .. جاء طوفان الموت فاركب سُفن التُّقَى ، ولا تُرَافق كنعان[١٢٨] الأمل .

ويحك ! انتبه لاغتنام عمرك ، فكم يعيش الحيوان حيران ، الأسقام تزعج

---

(١٢٥) هذا من كلام سفيان الثورى كما فى حلية الأولياء (٥٢/٧) .
(١٢٦) الوابل : المطر الشديد .
(١٢٧) الوَجَلُ : الخوف .
(١٢٨) الكانع : الذى تدانى وتصاغر وتقارَبَ بعضه من بعض . والكنوع الخضوع والذلة .

الأبدان ، فلابد من النحول ضرورة ، كأنك بك فى لحدك على فراش الندم ، وإنه لأخشن من الجندل[١٢٩]، فازرع فى ربيع حياتك قبل جدوبة أرض شخصك ، وادَّخر من قوت قدرتك قبل زمان عجزك ، واعتبر حيلك مخافة الفقر فى القفر[١٣٠]، الحذر الحذر **﴿ أن تقول نفس ياحسرتى على ما فرطت فى حق الله ﴾**[١٣١]، الحازم يتزود لما به قبل أن يصير لما به ... شجرة الحزم أصلها إحكام النظر ، وفروعها المشاورة فى المشكل ، وثمرها إنتهاز الفرص ، وكفى بذهاب الفرص ندما ، وكم فرصة فاتت فأصبح ربها يعض عليها الكف ، وعجبا لمُضَيِّع العمر فى التوانى ، فإذا جاء متقاضى الروح قال : **﴿ إنى تبت الآن ﴾**[١٣٢]... **﴿ وأنَّى لهم التناوش**[١٣٣] **من مكـان بعيد ﴾**[١٣٤].

يارابطاً مُناه بخيط الأمل ، إنه ضعيف الفتل ، لو فتحت عين التيَقُّظ لرأيتت حيطان العمر قد تهدمت ، فبكيت على خراب دار الأمل .

□ العمر فى إدبار ، والموت فى إقبال ، والمُلْتَقَى قريب :

ياتائهاً فى ظُلْمَة ظُلْمِهِ .. ياموغلاً فى مفازة[١٣٥] تيهه ، ياباحثاً عن مدية[١٣٦] حتفه ، ياحافراً زبية[١٣٧] هلاكه ، يامعمقاً مهواة مصرعه ، بئس ما اخترت لأحب الأنفس إليك ، ويحك ! تلمح الجادة فأنت فى ظلام عين أملك ترى المحبوب وتعمى عن المكاره .

إذا كان عمرك فى إدبار والموت فى إقبال فما أسرع الملتقى !، كيف يبقى على حالته مَن يعمل الموت على إحالته ، كيف تطيب الدنيا لمن لا يأمن الموت ساعة ، ولا يتم له سرور يوم ، كم قرع الزمان بوعظه ، فما سمعت ﴿ لينذر

---

(١٢٩) الجندل : الحجارة الغليظة .
(١٣٠) القفر :ز المكان المجدب الخالى من الماء والزرع . (١٣١) الزمر : ٥٦ .
(١٣٢) النساء : ١٨ .
(١٣٣) التناوش : التناول .. أى كيف لهم أن يتناولوا ما كان قريباً منهم فكيف يتناولونه حين بَعُد عنهم . (١٣٤) سبأ : ٥٢
(١٣٥) موغلاً : معمقاً .. المفازة : الصحراء . (١٣٦) المدية : السكين والشفرة الكبيرة .
(١٣٧) الزبية : هى الحفرة فى الموضع العالى تغطى فوهتها فإذا وطئها الأسد وقع فيها .

مَن كان حيا ﴾[١٣٨]...، صَاحَ ديكُ الإيقاظ فى سَحَرِ ليل العِبَر فما تَيَقَّظتَ ، فَتَنَبَّه إذا نعق غراب البَيْن[١٣٩] بَيِّن البَيْن[١٤٠]:

ومُشتَّت العزمات ينفق عمره حيران لا ظفر ولا إخفاق

يامؤثر مايفنى على ما يبقى هذا رأى طبعك هلاّ استشرت عقلك لتسمع أنصح النصائح !، مَن كان دليله البوم كان مأواه الخراب .

☐ عظة عمر بن الخطاب :

روى أن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال : أكثروا من ذكر هازم اللذات ، فإنكم لا تذكرونه فى قليل إلا كفى وأجزى ، ولا فى كثير إلا قلله .

فالله الله عباد الله اجتهدوا واستعدوا للموت ، وبادروا آجالكم قبل الفوت ، تفوزوا بالجنان فى دار الرحمٰن .

لملك الموت فى الدنيا ديون تحل فليس يمطلها المطول
وكل العالمين بها مَلِيٌّ[١٤١] فليس له على أحد جميل
سواء إذ يحل على غريم[١٤٢] عليه ذوو التعزز والذليل

فالله الله معاشر المسرفين لا تغتروا بالعز والمال ، فإن الموت لا يهاب الكبير الجليل ، ولا يرحم الحقير الذليل ، فكونوا منه على حذر وأعدوا له صالح الأعمال ، من قبل أن يأتى يوم لا حيلة فيه لمُحتال .

☐ عظة ابن مسعود :

وروى عن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – أنه قال : ليس بعاقل ولا ذاكر للموت مَن عَدَّ غداً من أجله ، فرب مستقبل يوماً لا يستكمله ومُؤَمِّل غداً لا يبلغه ، لو أبصرتم الأجل ومروره لأبغضتم الأمل وغروره ، فيا عجبا للفروع ذهبت أصولها ، وللنجوم قد آن أفولها .

☐ موعظة أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – :

روى أن رجلاً جاء إلى عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها – فقال :

---

(١٣٨) يس : ٧٠ . (١٣٩) غراب الفراق . (١٤٠) أى وَضَح الفَرْق .
(١٤١) ملى : جدير وخليق . (١٤٢) الغريم : الذى عليه الدين .

ياأم المؤمنين ! إن بى داءً فهل عندك دواء ؟، قالت : وما داؤك ؟ قال : القسوة ، قالت : بئس الداء داؤك ، عُدْ المَرْضَىٰ ، واشهد الجنائز ، وتَوَقَّع الموت .

فالله الله ياأعراض المنية ، وياأبواب الرزية ، لا تنسوا الموت الذى كتبه الله على العباد ، المخرب الأقطار والبلاد ، وكونوا منه على حذر واستعداد ، ياأبدان الأسقام ، وياأعراض الحِمَام[١٤٣].

من كان يعلم أن الموت مَدْرَجه والقبر منزله والبعث مخرجه
وأنه بين حيات ستنهشه يوم القيامة أو نار تُنضّجه
فكل شىء سوى التقوى به سمج وما أقام عليه منه أسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا لم يَدرِ أن المنايا سوف تزعجه

□ عظة سلمان – رضى الله عنه – : :

وعن سلمان الفارسى – رضى الله عنه – قال : مامن يوم إلا وملك الموت ينادى : ياأهل الدنيا عَجِّلوا لأن أهل القبور محبوسون من أجلكم ، اتركوا ماجمعتم ، وخَرِّبوا مابنيتم ، الويل لكم إن أدرككم الموت على هذه الحالة ، زَيَّنْتُم الدور ونسيتم القبور ، اذكروا القبر ووحشته ، والموت وسكرته ، والصراط ودقته ، الموت سكرة فى سكرة ، وحيرة فى حيرة ، وجذبة يالها من جذبة ، فالمسكين يكابد غُصص المنون ، داهش العقل كالمحزون .

فالله الله عباد الله ، أفيقوا من سكراتكم ، وانتبهوا من نوماتكم ، واستيقظوا من غفلاتكم ، قبل نزول المنية ، وحلول الرزية ، ووقوع البلية ، حيث لا مال نافع ، ولا حميم شافع ، ولا فرح واقع ، ولا رجاء طامع ، ولا حسنة تُزاد ، ولا حياة تُعاد ، ويزودك أحبابك بالصراخ ، ويكثرون عليك البكاء والنواح ، فلا عثرة تقال ، ولا رجعة تنال .

ألا إن أيام الحياة مراحل طريق الفتى منها إلى الموت ساحل
يسر بما يمضى لما هو آمل ويأتى الردى من دون ماهو آمل
ومايومه إلا غريم محكم إذا ما اقتضاه نفسه لا يماطل

---

(١٤٣) الحِمَام : مرض الموت .

عجبت لمن يبغى السلامة جاهدا ومر الليالى كلهن غوائل
ونحن بنو الأيام نظلم نفوسنا ونرجع وهى القاتلات الثواكل
ومن لحظ الدنيا بعين بصيرة رأى عينها فى نفسه وهو شائل

□ خشية عيسى – عليه السلام – من الموت :

روى أن عيسى – عليه السلام – كان إذا ذُكر عنده الموت أو ذكره تَقَطَّر جسده ماء من خوف هوله !

ياأخى ياغافل مثلى يامسكين ! فعيسى صلوات الله عليه يخاف الموت وهو على ما كان عليه من الطاعة لربه ، فكيف بك يامسكين على ما أنت عليه من المعصية لمولاك ؟!.

فالله الله ياإخوانى لا تغتروا بصحة الأجسام ، ومداومة الأيام ، فإن الموت يأتى فى ألْهَى ما أنت عليه فى الدنيا وألذ ما كنت فيه ، فلا الصحيح يدعه لصحته ، ولا الصغير يرحمه لصغره ، ولا الكبير يهابه لكبره .

وكم من صحيح بات للموت آمنا أتته المنايا بغتةً بعدما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة فراراً ولا منه بحيلته امتنع
وقرب من قبر فصار مقيله وفارق من قد كان بالأمس قد جمع
فلا يترك الموتُ الغنيَّ لمالِهِ ولا معدماً فى المال ذا حاجة يدع

□ عظة عمر بن عبد العزيز :

روى عن عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه – أنه كان يقول : أيها الناس ! ماالجذع مما لابد منه ؟!، وما الطمع فيما لا يرجى ؟!، وما الحيلة فيما لا يزول ؟!، وإنما الشيء من أصله ، وقد مضت من قبلنا أصول نحن فروعها ، إنما إبقاء الفروع بعد الأصل !، فكل ماهو آت قريب ..أيها الناس ! انما أنتم فى الدنيا أغراض تتنصل فيكم المنايا ، ونَهْبٌ للمصائب ، ومعدن للنوائب ، مع كل أكلة غُصَص ، ومع كل شربة شَرَق ، ألا تنالون نعمة إلا اق أخرى ؟!، ولا يُعَمَّر فيكم معمر إلا بهدم آخر من أَجَلِهِ ، وأنتم أعوان الحتوف[144] على أنفسكم ، فأين المَهْرب مما هو كائن .

---

(١٤٤) الحتوف : الهلاك .

فالله الله ياإخوانى لا تركنوا إلى طول الأمل ، ولا تنسوا اقتراب الأجل ، فالموت لابد منه .

آه على سفـر بـغير إيـاب آه من حسرة على الأحباب
آه مـن سكـرة بـغير شراب آه مـن ركبة بـغير ركاب
آه من مضجعى وحيداً فريداً بين فرش من الحصى والتراب

ياإخوانى هل رأيتم أحداً خُلِّد فى الدنيا حتى تكونوا مُخَلَّدين ، أم أنتم من الرحيل إلى الآخرة على شَكٍّ فتكونوا بالقرآن كافرين ؟!، فوالله لو كان الأمر كذلك لخلد خاتم النبيين ، لقد رانت على قلوبكم سترة الغافلين ، واستحوذ على نفوسكم كيد الشيطان اللعين ، حتى نسيتم الموت المُفَرِّق لجمع الجامعين .

ليس دوام البقاء للخلق لكـ ـــن دوام البقـاء للخــلاَّق
غلب الموت حيلة كل محتا ل وَأَعْيـا بدائـــه كل راقِ
عطفت شدة الزمان فأدتـــ ـــه فاقة وضيـق خنـــاقِ
لا يغرنك الغرور من الدنيــ ـــا فمنها شدائد بسيـــاق

☐ كونوا من السابقين :

فالله الله ياإخوانى كونوا من السابقين ولا تكونوا من الخاسرين ، وكونوا من الموت على تحقيق ويقين .

أراك بماترضى به النفس والهوى ويغضب منه الله صرت تدينُ
وقلبك لا يـزداد إلا قساوة فَدارِكْهُ بالذكرى عساه يـلين
فإن كنت فى شك من الموت فاعتبر بمن قد مضى يزداد منك يقينُ
كأنى بك اسْتَغْرَقْتَ فى غمراته وجاءك من بعد الحراك سكون
وقد حشرجت فى الصدر منك وأسبلت بأدْمُعِهَـا تجرى علـيك عيـــون
فقل لى إذا وُسِّدت ويحك فى البلى وهِيل عليك التُّربُ كيف تكونُ ؟

☐ إعمل يامسكين :

قالوا :

للموت فاعمل بجد أيها الرجل وأعلم بأنك من دنياك مُرتحُل
إلى متى أنت فى لهو وفى لعب تمسى وتصبح فى اللذات مشتغل

كأننى بك ياذا الشيب فى كرب ... بين الأَحِبَّة قد أَوْدَى بك الأجلُ
لما رأوك صريعاً بينهم جزعوا ... ووَدَّعوك وقالوا قد مضى الرجلُ
فاعمل لنفسك يامسكين فى مهل ... مادام ينفعك التذكارُ والعملُ
إن التَّقِىَّ جنان الخلد مسكنه ... ينال حوراً عليها التاجُ والحُلَلُ
والمجرمين بنـــــار لاخمود لها ... فى كل وقتٍ من الأوقات تشتعل

□ بحر الموت :

الموت بحرٌ يهاب المرء مورده ... وكل يوم له من كأسه جُرَعُ
لاصحة المرء فى الدنيا تؤخره ... ولا يُقَدِّم يوماً موته الوَجَعُ
وكلُّ يوم علينا فى فجائعه ... طير يحوم فلا ندرى بِمَن يَقَعُ

□ ماتوا من آية :

وكان بعض العُبَّاد يُصَلِّى فقرأ هذه الآية : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾[١٤٥]، وجعل يتدبرها ويرددها ، فسمع قائلاً يقول : ياهذا ! كم تردد هذه الآية ؟، فوالله لقد قتلت بها أربعة من الجن مارفعوا رؤوسهم إلى السماء قط حياءً من الله تعالى ، ولقد ماتوا من ترديدك هذه الآية .

□ أين الدموع السواجم قبل المنايا الهواجم ؟ :

أين الدموع السواجم[١٤٦] قبل المنايا الهواجم ، أين القلق الدائم إلى الذنوب العظائم ، أيها القاعد والموت قائم أنائم عن حديثنا أم ذا متناوم ؟، بَادِر بالتوبة من هفواتك قبل فواتك ، والمنايا بالنفوس فواتك .

ما أسرعُ الأيـام فى طَيِّنَـا ... تمضى علينـا ثم تمضى بنـا
فى كل يوم أمل قد نـأى ... مرامُه[١٤٧] عن أجل قد دنـا
أنذرنا الدهر وما نَرْعَوِى[١٤٨] كأنما ... الدهـــر سوانـــا عنـــا
أين الأولى قد شيدوا بناءهم ... تهدمـوا قبـل انهدام البِنَـا
لامعـــدم يحميـــه إعدامُـــه ... ولايقى نفس الغَنِىِّ الغِنَـى

---

(١٤٥) آل عمران : ١٨٥ ، الأنبياء : ٣٥ ، العنكبوت : ٥٧ .
(١٤٦) السَجَمَ الدمعُ : سَالَ (١٤٧) مُرَامه : مَطلَبه . (١٤٨) نرعوى : نزدجر ونمتنع .

لاتأمن الدهر على غرة لابدَّ للغائب أن يؤمنا

تالله لقد كشفت العبر ما انسدل فلم تُبْقِ من أولى جدل ، ياحائرين أحذروا ممن إذا قضى عدل ، واعلموا أن الآخرة ليس منها بدل .

☐ **هاذم اللذات :**

أين مصون الحصون ؟ أزعج عنها ، أين مقصور القصور ؟ خرج منها ، نقله هاذم اللذات نقلا سريعا ، وغمسه فى بحار الآفات غمسا فظيعا ، وفرق بينه وبين أهله وبنيه ، ونقض من مشيد أهله ما كان يبنيه ، لقد ولى ولاء ذى ود ينفعه ، وبان فبان لبنى الدنيا مصرعه ، هجره والله من هاجر إليه ، ونسيه نسيبه وقد كان يحنو عليه ، فلا صديقه صدقه فى مودته ، ولا رفيقه رافقه فى شدته ، حلوا والله بالبلاء فى البلى ، ووَدَّعَهُم مَن أودعهم ثم قلى[149] ، وانفردوا فى الأخدود بين الدود ووحش الفلا ، وسألوا الإقالة[150] ، فقيل لهم أمّا هذا فلا .

إن الليالى والأيام قد كشفت — من مكرها كل مستور ومكنون
وحدثتنا بأنّا مِن فرائسها — نواطقٌ بفصيح غير ملحون
واستشهد من مضى منا فأخبرنا — عن ذلك كل لقاء منا ومدفون
ونحن فى ذاك نصفيها مودتنا — تبّاً لكل سفيه الرأى مغبون
أغوى الهوى كل ذى عقل فلست ترى — إلا صحيحاً له أفعال مجنون
حتى متى نشترى دنيا بآخرة — سفاهة ونبيع الغالِ بالدون
نجمع المال نرجوا أن يُخلدنا — وقد أبى قبلنا تخليد قارون

☐ **دار البقاء ودار الفناء :**

قيل : وُجِدَ على لوح منقوش : ياابن آدم ! ما أقسى قلبك ، وما أجهلك بأمرك ، تُعَمِّر دار الفناء ، وتُخَرِّب دار البقاء ، أشغلت قلبك بما لا ينفعك فى الدنيا ويضرك فى العقبى ؟ فبادر ثم بادر بصلاح العمل قبل حلول ما تحاذره من مناقصة الأجل .

يانفس توبى فإن الموت قد حانا — وَأعْصى الهوى فالهوى ما زال فتّانا

---

(١٤٩) قلى : هَجَر وترك .

(١٥٠) الإقالة : الصفح والغفران .

أما ترين المنايا كيف تدركنا غداً وتلحق أخرانا بأولانا
فى كل يوم لنا ميت نُشيّعُهُ نرى بمصرعه آثار موتانا
يانفس مالى وللأموال أتركها خلفى وأخرج من دنياى عريانا
أبعد خمسين قد قضيتها لعبا قد آن أنْ تقصرى قد آن قد آنا

□ بادر إلى التوبة :

عن صفوان بن عسال المرادى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « **إن الله جعل بالمغرب باباً عرضه مسيرة سبعين عاماً للتوبة لا يُغلق مالم تطلع الشمس مِن قِبَلِهِ ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها ﴾**[١٥٠] الآية[١٥١].

بادر إلى التوبة الخلصاء مجتهدا والموت ويحك لم يمدد إليك يدا
وارقب من الله وعداً ليس يخلفه لابد لله من إنجاز ماوعدا
فإنما المرء فى الدنيا على خطر إن لم يكن ميتا فى اليوم مات غداً

بادروا قبل أن يفوت الغرض بالمرض إن عرض ، فكأنكم بـمبسوط الأمل وقد انقبض ، وبمشيد المنى وقد وَهَى وانْتَقَض .

ياساكن الدنيا تأَهَّب وانتظر يوم الفراق
وَأعِدَّ زاداً للرحيل فسوف يحدى[١٥٢] بالرفاق
وَابْكِ الذنوب بأدْمُعٍ تنهل من سُحُب المآق[١٥٣]
يامَن أضاع زمانه أَرَضِيتَ مايفنى بباق ؟

□ العمل قبل الرحيل :

ياساعياً لنفسه فى المهالك ، دنى الرحيل ونضو[١٥٤] الرحلة بارك ،... متى تدرك وحشتك بعد إيناسك ؟، متى تقتدى مِن ناسِكَ بناسك ؟، كأنى بك قد خرجتَ عن أهلك وولدك ، وانفردتَ عن عَددِكَ وعُدَدِك .

كأنك لم تسمع بأخبار مَن مَضَىٰ ولم تَرَ فى الباقين مايصنع الدهر

---

(١٥٠) الأنعام : ١٥٨ .
(١٥١) أخرجه أحمد فى المسند(٤/٢٤١) ، والترمذى (٣٥٣٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(١٥٢) حدا الإبل : زجرها خلفها وساقها .
(١٥٣) المآق : مُؤْخر العين . (١٥٤) النضو : الحيوان المهزول .

فإن كنت لاتدرى فتلك ديارهم — محاها مجال الريح بعدك والقطر
على ذاك مَرُّوا أجمعون وهكذا — يمرون حتى يستردهم الحشر
فحتى متى لا تصحو قد قرب المَدَىٰ — وحتى متى ينجاب عن قلبك السُّكْرُ
بل سوف تصحو حين ينكشف الغطا — وتذكر قولى حين لا ينفع الذِّكرُ

□ اذكروا مُفَرِّق الأحباب :

الله الله عباد الله ، لا تُضيعوا أعماركم فى الباطلات ، ولا تفنوا أيامكم فى الجهالات ، واذكروا الموت مُفَرِّق الأحباب ، وقاطع الأنساب ، ومذب[155] الرقاب ، وقاصم الجبابرة ، والأرباب ، مُهلك الآباء والأمهات ، وقاتل الأخوة والأخوات ، ومبيد الجيران والقرابات ، الموت يقطع أموالكم ، ويُغَيِّر أحوالكم ، ويرمل نساءكم ، وييتم أطفالكم ، فلا يبقى منكم خليلاً ولا حبيبا ، ولا جاهلا ولا أديبا .

الموت أفنى مَن مضى — والموت يفنى مَن بقى
والموت يجمع فى الثرى — بين المُنَعَّم والشَّقِى

وقالوا :

يامن سينأى[156] مسرعا — كما نأى عنه أبوه
مَثِّل بقلبك قولهم — جاء اليقين فلقنوه
وتحللوا من ظلمه — قبل الفراق وودَّعوه

□ ستسكن ماتبنيه :

قال الشافعى رحمه الله :

لادار للمرء بعد الموت يسكنها — إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه — وإن بناها بشر خاب بانيها
النفس ترغب فى الدنيا وقد علمت — أن الزهادة فيها تَرْكُ مافيها
فاغرس أصول التُّقَى مادمت مجتهداً — واعلم بأنك بعد الموت لاقيها

وقالوا :

لاتأسَفَنَّ على الدنيا ومافيها — فالموت لاشك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار رضوان خازنها — والجار أحمد والرحمٰن عاليها

---

(١٥٥) الذبّ: الدَّفْعُ . (١٥٦) سيبتعد .

أرض لها ذهب والمسك طينتها … والزعفران حشيش نابت فيها
أنهارها لبن محض ومن عسل … والخمر تجرى رحيقاً فى مجاريها
والطير تجرى على الأغصان عاكفة … تُسبِّح الله جهراً فى مغانيها
أحمد دَلَّالها والرب بائعها … وجبريل ينادى فى نواحيها
مَن يشترى الدار فى الفردوس يعمرها … بركعة فى ظلام الليل يحييها
أين الملوك الذى عن حظها غفلت … حتى سقاهم بكأس الموت ساقيها
أفنى القرون وأفنى كل ذى عمر … كذلك الموت يفنى كل مَن فيها
والموت أحدق بالدنيا وزخرفها … والناس فى غفلة عن ترك مافيها
لو أنها عقلت ماذا يُرَاد بها … ماطاب عيش لها يوماً ويلهيها
تلهو وتأمل آمالاً تَسُرُّ بها … شريعة الموت تطوينا وتطويها
والله لو قنعت نفس بما رُزقت … من المعيشة إلا كان يكفيها
والله والله أيماناً مكررة … ثلاثة من يمين بعد ثانيها
لو أن فى صخرة صما ململمة[157] … فى البحر راسية ملس نواحيها
رزقاً لعبد يراه الله لانفلقت … حتى تؤدى إليه كل مافيها
أو كان تحت طباق السبع مسلكها … لَسَهَّلَ الله فى المرق مراقيها
حتى ينال الذى فى اللوح خُطَّ له … فإن أتته وإلا سوف يأتيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها … ودورنا لخراب الدهر نبنيها
تلك المنازل فى الآفات خاوية … أضحت خراباً وذاق الموت بانيها

يامسكين ! أنفقت مالك فى بنيان الدور ، وتشييد القصور ، ونسيت الموت والتحول إلى ظلمة القبور ، ثاوياً[158] فيها إلى يوم النشور .

ألا للخراب بنى العامرونا … وللموت ماولد الوالدونا
وعَمَّا قليل يرى الآخـ … رون عجائب ماقد رأى الأوَّلونا
ويشقى أناس بما جَمَّعوا … ويسعد بالقلة الزاهدونا
ولايرحمون إذا مابكوا … ولايرتجى الرحمة الظالمونا
ويسأل قوم هناك الرجـ … ـوع فلا يرجعون ولا يُكْرَمُونا

---

(١٥٧) مستدير صلبة . (١٥٨) ثاوياً : مقيماً .

□ أبو العتاهية والرشيد :

دخل أبو العتاهية على الرشيد يوماً ، فقال له الرشيد : أَنْشِدْنى ، فقال : اجعل لى الأمان ، فقال : أنت آمِن ...، فأنشأ يقول :

لاتأمن الموت فى طرف[159] ولا نفس ... وإن تَستَّرْتَ بالحُجَّاب والحَرَسِ
وأعلم بأن سهام الموت قاصدةٌ ... لكل مُدرَّعٍ منا ومُتَّـرِسِ
مابال دينك ترضى أن تدنسه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنسِ
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لاتجرى على اليبسِ

□ اجتهدوا فى اكتساب الحسنات :

عباد الله ، اجتهدوا فى اكتساب الحسنات ، واجتنبوا فى ليلكم ونهاركم السيئات ، واعملوا فى صحتكم قبل السقم ، وقدموا فى شبابكم قبل الهرم ، فإن الموت إذا جاء لايرجع ، وسهامه إذا فَرَّقَها لا تُدفع ، وكأسه إذا أدارها لا تُنزع ، حياضه موروده ، وساعاته معدودة ، وأهواله مشهودة ، والحيلة عند نزوله مفقودة غير موجودة .

الموت حتمٌ حوضه مورود ... والموت يفنى جَمْعَنا ويبيد
والموت يحكم فى النفوس بحتفها ... وله على تنفيذ ذاك جنودُ
والموت يفسد مهجة الملك الذى ... قد عززته عساكر وجنود
وقلوبنا فى كل ذا مشغوفة ... حُبّاً لدارٍ زهرها معقود
وإلى متى تهوى الذى هو هلكها ... وإلى متى لا تنثنى وتعود ؟

الله الله ياأعراض المنية ، وياأبواب البلية ، ويامعادن الرزية ، أفيقوا من هذا الوَسَن[160]، قبل أن تُزَوَّدوا من أموالكم بحنوط وكفن ، إذا تَبَرَّأ منكم الحبيب ، وأنكر معرفتكم القريب ، وصار كل واحد منكم كأنه أجنبى وغريب .

الموت باب وكُلُّ الناس داخله ... فليت شعرى بعد الباب ما الدارُ ؟
الدار دار نعيم إن علمت بما ... يرضى الإله ، وإن خالفت فالنارُ

---

(١٥٩) فى طرفة عين . (١٦٠) النوم .

□ **المُثابَرَة :**

ياأخى بالله عليك لو أتاك الموت ولك مُلك الدنيا أما كنت تختار عيش يوم بالجميع ؛ فبادر مادمت فى فسحة من العمر ، قبل أن يضيق عليك الأمر ، لو صيح بك الليلة أجب الداعى ، أما كنت نادماً على ماقدَّمت ، وباكياً على مافرطت .

الموت بحر طامحٌ[161] مَوْجُـهُ تـذهب فيـه حيلـة السابـح
يانـفس إلى قائـل فاسمعـى مقالـة مـن مشفـق نـاصح
مايعـــجب الإنسان فى قبره مثـل التقى والعمـل الصالح

فالله الله عباد الله استعدوا للموت ، فكأنه قد نزل بكم فأرمل النسوان ، وأَيْتَمَ الولدان ، وفَرَّقَ الإخوان ، فوالله ياأيها الإنسان وإنما أنا وأنتم ذلك الإنسان ، لو لم يكن ماء ولا ظلال ، ولا جواب ولا سؤال ، ولا نعيم ولا ثواب ، ولا جحيم ولا عقاب ، لكان فى الموت وسكرته ، والقبر وظُلمته ، واللحد وضغطته ؛ مايمنع العاقل اللبيب عن كسب الخطايا والذنوب ، فكيف ومن وراء ذلك هَوْل مهول ، وشرح يطول ، من الصور ونفخته ، والنشور وروعته ، والصراط ورقته ، ومساءلة الله تعالى للعبد وتوبيخه ، فما يكون جوابك أيها المغرور إذا وقفت بين يدى العالم الغفور ، الذى يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور ؟ فأظهر لك قبائحك ، ونشر لك فضائحك ، واستشهد عليك جوارحك ، فإن عفا عنك فأنت من الفائزين ، وإن طالبك بما قدمت يداك فأنت من الخاسرين ، عفا الله عنا أجمعين ، وغفر لنا ذنوبنا فهو خير الغافرين ، آمين يارب العالمين .

□ **استَيْقِظ من غفلتك :**

أيها الإنسان – وكلنا ذلك الإنسان – استيقظ من غفلتك ، وهُب من رقدتك ، قد آن أن يدعى إليك الطبيب بجمع الدواء ، فلا يرجى لك مما نزل بك الشفاء ، ثم يقال فلان قد أوصىٰ وجميع ماله قد أحصى ، قد تَبَرَّأ من الدنيا وعلائقها وأقبل إلى الآخرة وحقائقها ، ثم ضَعُفَ جنانك[162]، وثقل لسانك ، وانقطع عن كلامك فلا تكلم إخوانك ، وكثرت خطوبك ،

---

(161) طامح : مرتفع الموج .

(162) الجَنان : القلب .

وعظمت كروبك ، إذ عرضت عليك عند كشف الغطاء ذنوبك ، واشتدت الأحزان ، وعلا صراخ النسوان ، وحزن الصديق الودود ، وفرح العدو الحسود ، ثم يقال لك : هذا ولدك الصغير ، وهذا الكبير ، وهذه بنتك الكبرى ، وهذه شقيقتها الصغرى ، فلا ترد عليهم جوابا ، ولا يستطيع لسانك خطابا ، ثم اشتد بك النزع والسياق ، إذا التفت الساق بالساق ، وانتزع ملك الموت روحك الضعيف ، وعرج به إلى مولاك الرب اللطيف ، يجازيك على ماقدمت فى سالف الأيام ، ويسألك عما اكتسبت من الحلال والحرام . وأمر بك إما إلى جنة عالية ذات نعيم وخلود ، وإما إلى نار حامية ذات جحيم ووقود وزودت من مالك حنوطاً وكفنا ، ونزلت فى رمسك بعملك مرتهنا . وانصرف أهلك لقسمة ما خَلَّفت من الأموال ، وماسعيت فيه من الحرام والحلال .

أبقيت مالك ميراثاً لوارثه فليت شعرى ماأبقى لك المالُ ؟
القوم بعدك فى حال يَسُرّهم فكيف بعدهم صارت بك الحال ؟
مَلُّوا البكاء فما يبكيك من أحدٍ واستحكم القِيل فى الميراث والقالُ
مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم وأدبرت عنك والأيام أحوال

قال أحد الصالحين : رأيتُ رجلاً قد مات ووُرَّاثه يختصمون فى ميراثه قبل أن تخرج جنازته ، فقلت هذه الأبيات المتقدمة .

□ نداء للميت :

ذُكر فى بعض الأخبار أن الميت يُنادَىٰ إذا وُضِعَ على المغتسل : أين لسانك الفصيح ما أسكتك ؟، أين صوتك الشجى ما أخرسك ؟، أين ريحك العَطِر ما أنتنك ؟، أين حركاتك ما أسكنك ؟، أين أموالك الكثيرة ما أفقرك ؟، الويل لك إن كنت عاصياً ، والبشرى لك إن كنت طائعاً .

وتناديه الملائكة إذا وُضِعَ فى القبر : ياعبد الله ! أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركتك ؟، أنت جمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك ؟، أنت استعددت للمنية أم المنية عَافَصَتْكَ[١٦٣]، خُلِقْتَ من التراب وأُعِدْتَ للتراب .

خُلِقْتُ من التراب بغير ذنب وعُدْتُ إلى التراب ولى ذنوب

---

(١٦٣) عافَصَتْك : فَلَحَتْك وأخْبَرَتْك .

فمالى لا أجاهد فى خلاصى — بعزم للمعاصى لا أتوب
ومالى أثقلت ظهرى ذنوب — ومنها لا أمَلُّ ولا أُنيبُ
ومالى لا أرقُّ لسوء حالى — ومن نفسى علىَّ غداً رقيب
ومالى مبعدٌ مقصى طريدٌ — وفى كل القبائح لى ضروب
وكم بالبر تسويفى ومطلى — ولا أدرى متى تأتى شعوب[164]
فيامَن ليس لى رب سواه — عليم بالذى أدعو يجيب
تجاوز ياإلٰهى عن ضعيف — بغفران لعلى عسى أتوب
وهب لى ذلتى وعظيم جرمى — فأنت الواحد الفرد القريب

عباد الله لا تغفلوا عن ذكر الموت ، وتفكروا فيه قبل الفوت ، فوالله ما بين أحدكم وبين طول الأسف ، والندامة على ما قد سلف ، إلا أن تنزل به المنية ، غدوة أو عشية ، فعظ نفسك قبل حلول الرزية .

وقيل فى قول الله تعالى : ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب** ﴾[165] قيل : الأجل القريب عند كشف الغطاء يقول العبد عند الموت : ياملك الموت أَخِّرْنى يوماً أعمل فيه صالحاً لنفسى ! فيقول ملك الموت : فَنِيَت الأيام فلا يوم ، فيقول : أخرونى ساعة ، فيقول : فنيت الساعات فلا ساعة ، فيقول : اتركنى أتكلم فيقول : فرغ كلامك فلا كلام ، فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ .

□ أين الجبابرة :

عباد الله مامضى مَن مضى إلى القبور الخالية من الأمم الخالية لتبقوا بعدهم إلا النذر اليسير الذى بقى من أعماركم ثم تنتبهون إلى القبور ، وتخرجون من سعة القصور والدور . والحمد لله يامعشر المؤمنين وجماعة إخوانى المسلمين جِدُّوا واجتهدوا ، وبالعمل الصالح فاستعدوا ، وقَدِّموا لأنفسكم ماتجدوه فى المقابر ، وابكوا عليها قبل حلولها فى الحفائر :

لكل أناس مقبرٌ بفنائهم — فهم فى انتقاصٍ والقبور تزيد
وفى مَحْشَر الموتى أمام قبورهم — فما منهم مَن للحياة يعود

---

(١٦٤) الشَّعب : التفريق والإفساد . (١٦٥) المنافقون : ١٠ .

وقالوا :

المرء رهن مصائب لا تنتهى ... حتى يُوَارَى جسمه فى رمسه
فمؤخر يلقي الردى[١٦٦] فى أهله ... ومقدم يلقى الردى فى نفسه

تذكر أيها المغرور أباك وإخوانك ، وتذكر أهلك وجيرانك ، وتذكر أحبابك وأخدانك ، أين الذين كانوا لك فى الدنيا أحبابا ، وفى أيام حياتك أصحابا ! صَحِبْتَهم وصحبوك ، وذهبوا عنك وتركوك ، وأوحشوا الأهل والأحباب ، وفارقوا القرابة والأصحاب ، وقد ضمت أجسادهم المقابر ، وغَيَّرت جلودهم الحفائر ، وبقيت أرواحهم تنتظر يوماً تُبلى[١٦٧] فيه السرائر ، فمنهم مَن يُجَازَى بنعيم وخلود ، ومنهم مَن يرد النار وبئس الورد المورود ، أين لقمان بن عاد ؟، أين ثمود وشداد ؟، أين فرعون ذى الأوتاد ؟، وأين مَن طغى فى البلاد وأظهر فيها الفساد ؟، ذهبت والله تلك الأجناد ، وصاروا إلى ظُلَم القبور على غير مهاد ولا وساد تذكر أيها الغافل أين الملوك الأكابر ، وأين الطغاة الجبابر ، وأين الذين جمعوا الأموال والذخائر ، وقادوا الجيوش والعساكر ، وكانت الخطباء تذكرهم على المنابر ، حَوَّلتهم والله النوائب إلى الحفائر ، وبقوا مرتهنين بأعمالهم فى ظلمات المقابر ، ونزلوا على ماقدموا من ذخائر الأعمال ، قد قطعت الديدان أوصالهم ، وغَيَّر البلاء أحوالهم ، قد سالت العيون منهم على الخدود ، وصارت لحومهم قوتاً للهوام والدود ، وقسمت من بعد دفنهم فى التراب أموالهم ، ونكحت من عدوهم عيالهم .

هل كان قبلك للَّذَّاتِ مرتاحـا ... لو شفه ذكر ذنب قد مضى ناحا
لله عبـد جنى ذنبـاً فأحزنـه ... فظل حيران يذرى الدمع سفاحا[١٦٨]
فاسفح دموعك عن ذنب أصبت به ... فرب دمع جرى للخير مفتاحا
ورُبَّ عين رآهـا اللهُ باكيـةً ... خوف القبور ستلقى الرَّوحَ والرَّاحَا
مستعبرٌ قَلِـقٌ مستيقـظٌ فَطِـنُ ... كأن فى قلبه للنور مصباحـاً
ياصَاحِبَىَّ دعا التسويف وَيْحَكُمَا ... واسْتَبْدِلا بفساد الدين إصلاحا
لا تأمنن وقوع الموت إنَّ لـه ... لأنفسنا من جميع الخلق مجتاحا
إن لم يبيتهم[١٦٩] ناداهم سَحَـرًا ... وإن تأخر عن تبكيرهم راحا[١٧٠]

---

(١٦٦) الردى : الموت . (١٦٧) أى تُختَبَر . (١٦٨) سَفح الدمع : أرسله .
(١٦٩) أى يأتيهم ليلاً وهم نيام . (١٧٠) يأتيهم بالليل .

لايترك الموت بيتاً حشوه فرح إلا أعاضهم ذُلّاً وأتراحــاً[171]
أهل القبور أبينوا عن قبوركم هل تستطيعون لى بالرد إفصاحا
ماذا لقيتم وماذا بعد قيل لكم لما فقدتم من الأجساد أرواحــا
يعــزز علــىّ بأبــدان مُنَعَّمَـــةٍ أمسى بها الدود جَوَّالاً وسَوَّاحا
الناس فى غفلة عما يُـراد بهم من كان ذا بصر فالصبح قد لاحا

□ رأيت الموت لا يبقى خليلاً :

فالله الله عباد الله عظوا أنفسكم بآبائكم وأحبابكم ، وجيرانكم وإخوانكم ، فإن فى ذلك بلاغاً لمن تذكر ، وعبرة لمن تفكر ، إخوانكم كانوا بالأمس معكم يأكلون مما تأكلون ، ويلبسون مما تلبسون ، فأصبحوا اليوم وقد صارت القبور لهم بيوتاً ، وصاروا بين أطباق الثَّرَىٰ خفوتاً ، قد قسم الوارث أموالهم ، ونكح العدو والصديق عيالهم ، وأهان العدو أطفالهم ، قد هُتكت منهم الأستار ، واستوحشت منهم الديار ، وتحدثت عنهم الأخبار :

رأيت الموت لا يبقى خليلاً على خل وإن عاشا زمانــا
فَكُن منــه على حــذر فــإنى رأيت الموت لا يعطى أمانــا
أنسنــا غــرةً منــه كأنــا بما نعنى بــه يعنــى سوانــا
وكم للمــوت مــن دار ودار أبــان عميرهــا عنها فبانا[172]
فكم ذى نخوة وعزيز قــوم أذلّ الموتُ عِزَّتَـــهُ فهانـــا
كأنّا قد نظرنــا عــن قــريب إلى مــا قــد وعدنــاه عِيانــا

□ أما أسْمَعَكَ الصوت ؟ :

فإنا لله وإنا إليه راجعون على مَن طال عمره وساء عمله ولم تنفعه الموعظة ، فمن كان منا كذلك فقد عظمت خسارته وما ربحت تجارته :

نـــودى بصوت أيما صوت مــا أقــرب الحى مــن الموت
كـأن أهـل الحى فى غَيِّهِـــم قد أخـذوا أمْنـاً مــن الموت
كم من صحيح عامرٍ بَيْتـهُ لم يمس إلا خــارب البــيت
كم وكم حــى بكـــى ميتــا فأصبـــح الحىُّ مـــع الميت

---

(171) الأتراح : الأحزان .

(172) أى أبْعَدَ ساكنها .

□ متى ترحلون ؟ :

قال أحمد بن أبى الحوارى : رأيتُ شاباً قد انحدر من مقبرة ، فقلت له : مِن أين ؟ قال : من هذه القافلة النازلة ، قلت : وإلى أين ؟ قال : أَتَزَوَّد وألحقها ، قلت : فأى شيء قالوا لك ؟ وأى شيء قلت لهم ؟!، قال : قلت : متى ترحلون ؟؛ فقالوا : حتى تقدمون .

□ عمر بن عبد العزيز فى الجبانة :

ودخل عمر بن عبد العزيز الجبانة فبكى بكاءً شديداً حتى احمرت عيناه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أتيتُ قبور الأحبة فَسَلَّمت عليهم فلم يَرُدُّوا جواباً ، فلما ذهبت لأنصرف نادانى التراب : ياعمر ! ألا تسألنى ماذا لقى الأحبة ؟، قلت : بلى ، قال : خرقت الأكفان ، ومُزِّقت الأبدان ، وتغيَّرت الألوان ...، فبكيت لذلك بكاءً شديدا .

□ حام الحِمَام [١٧٣] حول حماكم :

إخوانى ! قد حام الحِمَام حول حماكم ، وصاح بكم إذا خلا النادى وناداكم ، وأولاكم من النصح حقكم ، فما أحقكم بالتدبر وأولاكم ، وهو عازم على اقتناصكم وما المقصود سواكم ، كم أخلى الموتُ داراً ؟!، كم ترك العامر فارا ؟!، كم أذاق الغصص المرة ماراً ، لقد جال يميناً ويساراً فما حَابَى فقراً ولا يسارا .

خلط الحِمَام قويهم بضعيفهم — وغنيهم ساوى بذى الإقتار
سُلبوا النضارة والنعيم فأصبحوا — متوسدين وسائد الأحجار
تركوا ديارهم على أعدائهم — وتوسدوا مدراً[١٧٤] بغير دثار[١٧٥]
والدهر يعجلنا على آثارهم — لابد من صبح المُجِدِّ السارى

□ جبال الأمل :

ياهذا عواصف الحوادث تنسف جبال الأمل ، ومعاول الزمان تهدم جدران الأجل ، أليس الزمان يعير ثم يغير ، فأين الفهم لتدبير ما إليه تصير ،

(١٧٣) أى الموت .
(١٧٤) المدر : الطين .
(١٧٥) بغير دثار : بغير غطاء .

حالت غمائم الهوى بينكم وبين شمس الهدى ، وغداً مافى يومكم ينسيكم غداً ، حتى كان الرحيل حديث خرافة ، وكأن الزاد يفضل عن المسافة .

أيها الشيوخ ! آن الحصاد ، أيها الكهول ! قَرُبَ الجذاذ[176]، أيها الشاب كم جَرَّدَ الزرعَ جراد ؟!.

فيابن آدم لا يغررك عافيــة — عليك شاملة فالعمر معــدود
مأأنت إلا كزرع عند حضرته — بكل شىء من الآفات مقصود
فإن سَلِمْتَ من الآفات أجمعها — فأنت عند كمال الأمر محصود

وقالوا :

ما بالنا نتعامى عن مصائرنـا — ننسى بغفلتنا مَن ليس ينسانا
نزداد حرصاً وهذا الدهر يزجرنا — كأن زاجرنـا بـالحرص أغرانـا
أين الملوك وأبناء الملوك ومَـن — كانت تَخِرُّ له الأذقان إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا — مستبدلين من الأوطـان أوطانـا
خلوا مدائن كان العز يفرشها — وأُسكنوا حفـراً غبراً وقيعانـا
ياراكضا فى ميادين الهوى مَرِحَا — ورافلاً فى ثياب الغى نشوانا
مضى الزمان ووَلَّى العمرُ فى لعب — يكفيك ماقد مضى يكفيك ماكانا

* * * *

ياهذا مَزِّق أملك فالعمر قصير ، وحَقِّق عملك فالناقد بصير ، وزِدْ زاد سفرك فالطريق بعيد ، وردد نظر مكرك فالحساب شديد .

---

(١٧٦) الجذاذ : القطع والكسر .

وقبل أن نقول وَدَاعاً : تذَكَّرُوا الْمَوْتَ(١٧٧) .

لَيسَ الْغَرِيبُ غَرِيبَ الشَّامِ واليَمَنِ   إن الغريبَ غريبُ اللَّحدِ والكَفَنِ

إنَّ الْغَرِيبَ لَهُ حَقٌّ لِغُرْبَتِـهِ   على المُقيمينَ فى الأَوْطَانِ والسَّكَنِ

لَا تَنْهَرَنَّ غَرِيبَاً حَالَ غُرْبَتِـهِ   الدَّهْرُ يَنْهَرُهُ بالذُّل والْمِحَـنِ

سَفَرِى بَعِيدٌ وزَادى لَنْ يُبَلِّغَنِى   وَقُوَّتى ضَعُفَت والمَوْتُ يَطْلُبنى

وَلِى بَقَايَا ذُنوب لَسْتُ أَعْلَمُهَا   اللهُ يَعْلَمُهَا فى السِّرِ وَالْعَلَـنِ

ما أَحْلَمَ اللهَ عَنِّى حيثُ أَمْهَلَنِى   وقَدْ تَمَادَيْتُ فى ذَنْبِى ويَسْتُرُنى

تَمُرُّ ساعاتُ أَيَّامِى بلاَ نَـدَمٍ   وَلاَ بُكَاءٍ ولا خَوْفٍ ولا حَزَنِ

أنا الَّذى يُغْلِقُ الأَبْوَابَ مُجْتَهِداً   عَلَى المَعَاصِى وعَيْنُ اللهِ تَنْظُرنى

يا زَلَّةً كُتِبَت فى غَفْلَةٍ ذَهَبَتْ   يَا حَسْرَةً بَقِيَت فى القلب تُحْرِقُنِى

دَعْنِى أَنُوحُ على نفسِى وأَنْدُبُهَا   وأَقْطَعُ الدَّهْرَ بالتفكيرِ والحَزَنِ

كَأَنَّنِى بين تِلْكَ الأهلِ مُنْطَرِحٌ   على الفِـرَاشِ وأَيـديهم تُقَلِّبُنِـى

كأننى وَحَوْلِى مَنْ يَنُوحُ ومَـنْ   يَبْكِـى عَلَىَّ ويَنْعَانِى ويَنْدُبُنِـى

وقَدْ أَتَوْا بالطَّبِيبِ كَى يُعَالِجَنِى   وَلَمْ أَرَ الطبيبَ اليَوْمَ يَنْفَعُنِـى

وَاستَخْرَجَ الرُّوحَ مِنِّى فى تَغَرْغُرِهَا   وصَارَ ريقى مَرِيرَاً حِينَ غَرْغَرَنى

وَاشْتَدَّ نَزْعِى وَصَارَ المَوْتُ يَجْذِبُها   مِنْ كُلِّ عِرْقٍ بلاَ رفقٍ وَلاَهَوْنِ

وَسَلَّ رُوحى وظَلّ الْجِسْمُ مُنْطَرِحَاً   بَيْـنَ الأَهَالِى وأَيْدِيهم تُقَلِّبُنـى

وغَمَّضُونِى وَشَدُّوا الْحَلْقَ وَانْصَرَفُوا   بَعْدَ الأياسِ وَجَدُّوا فِى شِرَى الْكَفَنِ

وسَارَ مَنْ كَانَ أَحَبَّ النَّاسِ فى عَجَلٍ   نَحْوَ المُغَسِّل يَأْتِينِى لِيَغْسِلَنِـى

وأَضْجَعُونِى عَلَى الأَلْوَاحِ مُنْطَرِحَاً   وقَامَ فى الْحَالِ مِنْهُم مَنْ يُغَسِّلُنى

وَأَسْكَبَ الْمَاءَ مِنْ فَوْقِى وَغَسَّلَنِى   غُسلاً ثَلاثَاً وَنَادَى القَوْمَ بالْكَفَنِ

وأَلْبَسُونِى ثِيَابَاً لَا كِمَامَ لَهَـا   وصَار زَادِى حَنُوطِى حِينَ حَنَّطَنِى

(١٧٧) تُنسَب هذه القصيدة لزين العابدين – أحد الزهاد رضى الله عنه – .

وَأُخْرَجُونِى مِنَ الدُّنْيَا فَوَا أَسَفَا … عَلَى رَحِيلٍ بِلاَ زَادٍ يُبَلِّغُنِى

وَحَمَلُونِى عَلَى الأَكْتَافِ أَرْبَعَةٌ … مِنَ الرِّجَالِ وخلفِى مَنْ يُشَيِّعُنِى

وَقَدَّمُونِى إِلَى الْمِحْرَابِ وَانْصَرَفُوا … خَلْفَ الْإِمَامِ وصَلَّى ثُمَّ وَدَّعَنِى

صَلُّوا عَلَيَّ صَلاَةً لَا رُكُوعَ لَهَا … وَلَا سُجُودَ لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُنِى

وَأَنْزَلُونِى إِلَى قَبْرِى عَلَى مَهَلٍ … وَقَدَّمُوا وَاحِداً مِنهُم يُلَحِّدُنِى

وَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِى لِيَنظُرَنِى … وَأَسْبَلَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ وَقَبَّلَنِى

وقَالَ هِلُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ وَاغْتَنِمُوا … فَضْلَ الثَّوَابِ وَكُلُّ النَّاسِ مُرْتَهِنٍ

وَهَالَنِى إِذْ رَأَتْ عَيْنَاىَ إِذْ نَظَرَت … مِنْ هَوْلِ مُطَّلَعٍ إِذْ كَانَ أَغْفَلَنِى

مِنْ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ مَا أَقُولُ لَهُمْ … قَدْ هَالَنِى أَمْرُهُم جِدّاً فَأَفْزَعَنِى

وَأَقْعَدُونِى وَجَدُّوا فِى سُؤَالِهِمُ … مَا لِى سِوَاكَ إِلٰهِى مَنْ يُخَلِّصُنِى

فَامْنُن عَلَيَّ بِعَفْوٍ مِنْكَ يَا أَمَلِى … أَمْنُن عَلَىٰ تَارِكِ الْأَوْلَادِ وَالْوَطَنِ

تَقَاسَمَ أَهْلِى الْمِيرَاثَ وانْصَرَفُوا … وَصَارَ وِزْرِى عَلَى ظَهْرِى يُثْقِلُنِى

وَاسْتَبْدَلَتْ زَوْجَتِى بَعْلاً لَهَا بَدَلِى … وَحَكَّمَتْهُ فِى الْأَمْوَالِ وَالسَّكَنِ

وَصَيَّرَت ابْنِى عَبْداً لِيَخْدِمَهُ … وَصَارَ مَالِى لَهُم حِلاًّ بِلاَ ثَمَنِ

فَلاَ تَغُرَّنَّكَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا … انْظُر لِأَفْعَالِهَا بِالْأَهْلِ وَالْوَطَنِ

وَانْظُرْ إِلَى مَنْ حَوَى الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا … هَلْ رَاحَ مِنْهَا بِغَيْرِ الحُنْطِ وَالْكَفَنِ ؟

خُذِ الْقَنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وَارْضَ بِهَا … لَوْ لَمْ يَكُن فِيهَا إِلَّا رَاحَةُ الْبَدَنِ

يَا زَارِعَ الخَيْرِ تَحْصُدْ بَعْدَهُ ثَمَرَا … يَا زَارِعَ الشَّرِّ مَوْقُوفٌ عَلَى الرَّهَنِ

يَا نَفْسُ كُفِّى عَنِ الْعِصْيَانِ واكْتَسِبِى … فَضْلاً جَمِيلاً لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُنِى

يا نَفْسُ وَيْحَكِ تُوبِى وَاعْمَلِى حَسَنَا … عَسَى تُجَازِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ بِالْحَسَنِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا … مَاضَأْضَاَ الْبَرْقُ فِى شَامٍ وَفِى يَمَنِ

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ مُمْسِينَا وَمُصْبِحِنَا … بِالْخَيْرِ والْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ وَالْمِنَنِ

وبعد :

اللهم ياأكرم الأكرمين ، تَفَضَّل علينا وعلى جميع المذنبين بتوبة تنقلنا من ذُل المعصية إلى عز الطاعة ، وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيا بلا ذل ولا تباعة ، على منهاج أهل السنة والجماعة ، الذين أوجبت لهم الرحمة والشفاعة ، اللهم إن الطاعة بقدرك والمعاصى ، وفى قبضتك القلوب والنواصى ، فطَهِّر قلوبنا بماء التوبة ، واغسلها من دنس الحوبة[١٧٨]، ومَتِّعنا بالسلامة فى ديننا ودنيانا ما أبقيتنا ، ولا تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وخير المُرْسَلِين ، واحشرنا تحت لوائه أجمعين ، على منهاجه وسُنَّته غير مُبَدِّلين ولا مُغَيِّرين ، مُوَفَّقين ، معصومين ، غير مغضوب علينا ولا ضالين ، ياأرحم الراحمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

---

(١٧٨) الحوبة : الإثم .

أهم المراجع

١ - **القرآن الكريم** ، وكتب السنة النبوية المطهرة .

٢ - **إحياء علوم الدين** ، للغزالى .

٣ - **التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة** ، للقرطبى .

٤ - **بستان الواعظين** ، لابن الجوزى .

٥ - **المواعظ والمجالس** ، لابن الجوزى .

صدر للمؤلف

١ – العلاج الربانى للسحر والمس الشيطانى .
٢ – حسد الحاسدين بين العلم والدين (حقيقة الحسد وعلاج المحسود) .
٣ – تحضير الأرواح وتسخير الجان بين الحقيقة والخرافة .
٤ – قراءة النجوم والحظ والطالع بين الحقيقة والخرافة .
٥ – التنويم المغناطيسى بين الحقيقة والخرافة .
٦ – تحصينات الإنسان من الحسد والجان .
٧ – خوارق العادات .
٨ – وصف النبى وكأنك تراه .
٩ – شرح ثلاثة أحاديث فى وصف النبى ﷺ .
١٠ – ويل للعرب من شر قد اقترب (يأجوج ومأجوج) .
١١ – عمالقة السحر (هاروت وماروت) .
١٢ – المسيح الدجال ويأجوج ومأجوج .
١٣ – وصف الجنة من الكتاب والسنة .
١٤ – وصف النار لأولى الأبصار .
١٥ – الآيات العشر قبل الساعة والحشر .
١٦ – آيات موسى التسع .
١٧ – الثمر الجنى فى صفة صلاة النبى ﷺ .
١٨ – الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة (تحقيق) .
١٩ – رسائل النبى ﷺ .
٢٠ – مس الجن للإنسان بين العلم والقرآن .
٢١ – يضحك ربكم ويضحك نبيكم .
٢٢ – أهوال القيامة .
٢٣ – عذاب القبر (أسبابه – صوره – النجاة منه) .

٢٤ – مفاتيح السعادة الزوجية من الأحاديث النبوية .

٢٥ – الديوان الممنوع : جراح مصر ، القصائد العشر . للشاعر الشهيد هاشم الرفاعى (تحقيق) .

٢٦ – تسلية أهل المصائب (تحقيق) .

☐ **تحت الطبع :**

★ علماء فى مواجهة الحُكَّام .

★ عشر قصائد من أشعار السجون (قصائد بالدم) .

★ أشعار الجن (ذكر مارُوِىَ من الأشعار و لم يظهر قائلوها للأبصار) .

★ حقيقة السحر وعلاج المسحور .

★ قصص الطير والحيوان من الحديث والقرآن .

★ رسالة فى ليلة التنفيذ (شهداء الإخوان المسلمين) .. للشاعر الشهيد هاشم الرفاعى ، دراسة وتحقيق .

★ أضغاث أحلام (مسرحية فى خمسة فصول) .

فهرس الكتاب

مواعظ الموت